الغرب في الصحافة النسائية اللبنانية/ بين الرغبة والخوف

نهوند القادري

مقدمة

بداية، كي نتمكن من رسم ملامح صور(*) الغرب في الصحافة النسائية اللبنانية، والتقاط أبعادها المتغيرة بتغير الظروف والأحوال المحددة للسياق الذي أنتجت فيه، وبتبدل المجموعات المنتجة والمستهلكة لها، وتطور القنوات التي حملتها، لا بد لنا من طرح التساؤلات التالية:

في بلد كلبنان يقع على مفترق قارات ثلاث، تتداخل فيه الثقافات، إلى أي مدى يمكن أن تكون حدود الصور التي تحملها صحافته واضحة بين الغرب والشرق؟ أي غرب نروم البحث عن صوره؟ هل هو الغرب الجغرافي أم الديني أم الفلسفي؟ النظام الرأسمالي، أم التطور العلمي والتقني(١)؟ بمعنى آخر، هل اختزلته هذه الصور بظاهرة معينة، أم أنها نظرت إليه على أنه وحدة اصطناعية لهذه الظواهر المختلفة؟ وإلى أي حد تم تصوره ككيان ثقافي وظاهرة حضارية؟

(*) الصورة: تعبير أو تعابير ذات دلالات معينة ومقصودة نرسم بواسطتها صفات فرد أو شعب أو مجموعة شعوب بحيث تترك انطباعاً سلبياً أو إيجابياً لدى القارىء أو متلقي هذه التعابير. انظر بهذا الصدد: سامي مسلم، **صورة العرب في صحافة المانية الاتحادية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

(١) Voir à ce propos: Serge Latouche, **«l'occidentalisation du monde»** éditions. La découverte. Paris 1992 pp 34 - 39 p. 260.

إلى أي مدى يمكن أن تكون الحدود واضحة بين صور الغرب كما هو؟ كما أحب هو أن يكون، أو كما أحبت هذه الصحافة أن يكون عليه؟ ما مدى إمكانية التقاط هذه الصور وتفسيرها، وهي كل مركب متعدد العناصر، تتشابك فيه الصورة عن الذات مع الصورة عن الآخر، تلعب العديد من المحددات في تكوينها لتحولها إلى عملية توفيقية أو تلفيقية ذات وجهين: عاطفي ومعرفي[١]، يتشابكان غالباً، يميلان أحياناً إلى التطابق وأحياناً أخرى إلى نفي أحدهما الآخر؟ وهنا نطرح أيضاً تساؤلات: كيف يمكننا الفصل بين هذين الوجهين؟ ومتى يتشابك العاطفي مع المعرفي، ومتى يتغلب أحدهما على الآخر؟ وفي ظل أية ظروف؟

هذا ما يقودنا إلى البحث عن خصوصية الصور في كل مرحلة، هل صور المراحل الماضية تعد مؤسسة لصور المراحل اللاحقة؟ وإلى أي مدى يمكن التفلت منها؟

في ضوء السياق المرحلي لتشكل الصور، إلى أي مدى تلعب الصحافة، وبالتحديد يلعب القيمون عليها دوراً في تشكيل الصور عن الغرب وفي تنميطها[٢]؟ هل لواقعهم المعاش وانتماءاتهم الدينية وخلفياتهم الفكرية من آثار؟ ما هي نقاط ارتكازهم لجمع عناصر هذه الصور في أذهانهم؟ أي هل تمت بناءً لحاصل مجموع الصور التي تمثلها الأفراد عن الغرب، أم بناءً لمصالح وتجارب خاصة دفعت بهم لإبراز جوانب دون أخرى؟

وهنا تطرح مسألة تباين الصور الموجودة في أذهان الناس عن الشعوب الأخرى، وما يحمله هذا التباين من مؤشرات لانقسامات داخلية[٣].

أخيراً، هل تعبر هذه الصور عن جهل بواقع الغرب الفعلي، ناتج عن عدم إقامة اتصال معه، أم أنها تعبر عن حيرة وتلبك في تحديد صورة الأنا مما ينعكس على تحديد صورة الآخر؟ وهنا هل يغيِّر الاتصال المباشر هذه الصورة ويجعلها أقرب إلى الواقع؟ أم أن إرث التجارب السابقة وما نتج عنها من صور بقي يخيم على أذهان الناس؟

---

(١) Jean Jacques Wunenbuger, «**philosophie des images**» éd, p.u.f. Paris. 1997.

(٢) حول تنميط الصور ودور وسائل الإعلام على هذا الصعيد أنظر:
J.W. Lapierre, «**l'information sur l'état d'Israel dans les grands quotidiens Français en 1958**», éd. Du centre national de la recherche scientifique. Paris. 1968. p. 28.

(٣) أنظر: سامي مسلم ـ صورة الغرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، مرجع سبق ذكره، ص: ١٩.

أسئلة عديدة لن أدّعي الإجابة عنها إنما هي تشكل الدافع المحرك لعملية البحث عن صور الغرب في الصحافة النسائية اللبنانية والتي قد تكون من أكثر الصحف صدقاً في تجسيد ونقل أوضاع المجتمع بهمومه ومعاناته وتقلباته، وبالتالي تقلبات صوره عن الغرب. إذ استطاعت هذه الصحافة خلال قرن من الزمن أن تصوِّر ودون مواربة أوضاع فئة معينة من النساء حائرة في نفسها، من تكون وكيف تكون،[١] وبالتالي حائرة في رسم صورها عن الغرب. ولعلنا نرى ذلك من خلال تتبع هذه الصحافة في مراحل أربع:

المرحلة الأولى: التي شهدت ولادة الصحافة النسائية اللبنانية في مصر عام ١٨٩٢[٢] مع مجلة «الفتاة»، في ظل أجواء ما سمي آنذاك بعصر النهضة أو «صدمة اللقاء بين الشرق والغرب».

المرحلة الثانية: وهي فترة الانتداب الفرنسي على لبنان (١٩٢٠ ـ ١٩٤٣) حيث بات الاتصال بالغرب يتم عن قرب وإن كان باتجاه واحد من الأقوى إلى الأضعف بحيث لا يمكن اعتباره اتصالاً فعلياً قائماً على مبدأ التكافؤ في العلاقة.

المرحلة الثالثة: بدءاً من نيل لبنان استقلاله عام ١٩٤٣ ولغاية العام ١٩٦٠. والتي من الطبيعي أن تبدأ بمحاولة أخذ مسافة من الغرب. وتترافق بتساؤلات حول كيفية الاستقلال عنه وبالتالي كيفية بناء الصورة عن الذات بمعزل عن تأثيرات صورة الآخر وردود الفعل الناتجة عنها. لكن سرعان ما عادت الظروف والأحوال تضغط من جديد على عملية بناء الصورة عن الغرب بسبب ما شهدته المنطقة من أحداث، وبالأخص لحظة إيجاد الكيان الصهيوني في فلسطين وما تبعها من أحداث.

أمّا المرحلة الرابعة: فهي الفترة الراهنة التي ترافقت مع تطورات تقنية واتصالية أدت إلى زوال الحدود بين الدول والشعوب وإلى تشريع أبواب الشرق على الغرب. وراحت من خلال الأوتوستردات الإعلامية والفضائيات تتعايش صور الغرب مع الشرق بشكل لا مثيل له. وتختلط الصور الذهنية بالمتخيلة بالمعيوشة بالإعلامية

---

(١) أنظر بهذا الصدد: نهوند القادري عيسى. **المرأة بين الإعلام المكتوب والإعلام المرئي ـ الحالة اللبنانية**، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد ١٩٣. في ٣/١٩٩٥. ص: ٩٦.

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر:

Issa El-kaderi Nahawand, **«contribution à l'étude de la presse féminine Libanaise (1892-1985)»** thèse de doctorat. sous la direction de p. Albert, Paris II, Mars 1989.

بالافتراضية، مع ما يرافقها من ردود فعل، فيها تردد وإما حماس واندفاع وإما تخوف وانكفاء.

ونظراً لاتساع الموضوع وتشعبه رأينا أن نتوقف عند مرحلة الستينات مستثنين من الدراسة مرحلتين: الأولى تمتد من ١٩٦٠ لغاية ١٩٧٥ والتي تميزت بولادة صحافة نسائية على أيدي رجال، تهتم بالمرأة كجسد لتستقطب الإعلانات، تتوجه ليس فقط إلى المرأة اللبنانية إنما أيضاً العربية، وتتبنى صورة مقبولة للمرأة المتوسطة الحال الغربية شكلاً والشرقية فكراً وممارسة. والثانية ابتداء من ١٩٧٥ ولغاية ١٩٩٠ مرحلة الحرب الأهلية باعتبار أنها تشكل موضوعاً لوحدها. ثم انتقلنا إلى المرحلة الراهنة نظراً لما حملته من متغيرات اتصالية حاسمة على صعيد تشكل الصور ليس فقط في لبنان إنما في كافة أنحاء العالم، محاولين البحث عن خصوصية صور الغرب في كل مرحلة من خلال مجلة واحدة. فوقع اختيارنا على المجلات التالية كنماذج من المراحل الأربع على التوالي «السيدات والبنات»[١]، «المرأة الجديدة»[٢]، «صوت المرأة»[٣] و«حواء»[٤].

المرحلة الأولى (١٨٩٢ ـ ١٩٢٠)

إن تسارع الأحداث في الفترة الممتدة بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وضع المنطقة العربية أمام واقع جديد مثقل بإشكالات كبرى، راحت النخبة المثقفة من أهل الفكر والأدب، ممن تسنى لها الاطلاع على الثقافات والعلوم الغربية تبحث في الإجابة عنها، علّها توفّق بين الحداثة والتقليد، أو علها توازن بين الرغبة في التفرنج والخوف من التغريب وضياع الهوية. إنها مهمة البحث عن هوية جديدة في ظل تعقيدات سياسية واجتماعية ودينية ووطنية واقتصادية[٥]. وطبيعي أن

---

(١) **السيدات والبنات:** مجلة نسائية إصلاحية شهرية صدرت عام ١٩٠٣ ـ ١٩٠٦ ثم عاودت الظهور ١٩٢١ ـ ١٩٢٥ تحت عنوان مجلة السيدات، أصدرتها روز أنطوان من الإسكندرية.

(٢) **المرأة الجديدة:** مجلة نسائية شهرية، أصدرتها جوليا طعمه دمشقية في بيروت عام ١٩٢١، واستمرت لغاية العام ١٩٢٨.

(٣) **صوت المرأة:** مجلة نسائية أسبوعية ثم تحولت إلى شهرية، صدرت في بيروت عن جامعة نساء لبنان عام ١٩٤٦، ثم أصبحت تصدر بالتعاون مع دار الكتاب اللبناني عام ١٩٤٩ لغاية ١٩٥٨.

(٤) **حواء:** مجلة نسائية شهرية، صدرت في بيروت في آب ١٩٩٧.

(٥) أنظر بهذا الصدد: نهوند القادري عيسى، **إشكالية النهضة في الصحافة النسائية اللبنانية ١٨٩٢ ـ ١٩٢٠**، صدر في مؤلف جماعي: **زمن النساء والذاكرة البديلة**، عن ملتقى المرأة والذاكرة ـ القاهرة ١٩٩٨.

ينتج عن هذه المهمة الكثير من الصور الذهنية المركبة التي سوف تجد في الصحافة عموماً وسيلتها الفضلى، ليس فقط للتعبير عن الأجواء السائدة آنذاك، إنما لخلق أجواء جديدة تساهم في بناء صور جديدة. وسوف تجد في الصحافة النسائية خصوصاً وسيلتها لإشاعة الكثير من الصور عن الغرب لسببين أساسيين:

الأول له علاقة بالمرأة التي كانت في لقاء العقليتين الشرقية والغربية أو في تصادمهما، هي الموضوع الأبرز، إن كان من حيث الصور التي كونها الغربيون عن المرأة العربية، أو بالعكس، الصور التي كونها العرب عن المرأة الغربية، لدرجة كاد كل منهما يختزل الآخر بالمرأة.

الثاني له علاقة بالصحافة النسائية إذ من الطبيعي أن تحمل هذه الأخيرة الكثير من الصور عن الحياة الغربية كونها انعكاس للحياة اليومية وللعادات والتقاليد[١]. فدراستها مشوقة بنظر مؤرخة الصحافة الفرنسية Sullerot لازدواجيتها التي تتمثل في البحث الدائم عن آخر موضة في مجالات الملبس واللياقة وكيفية التصرف من ناحية، وفي الحفاظ على التقاليد والمعايير الاجتماعية من ناحية ثانية... هذه الازدواجية ستبدو لنا واضحة من خلال الصور التي سوف نستعرضها لاحقاً.

في الخلفية لعملية تشكل الصور عن الغرب في المرحلة الأولى:

بعدما أصبحت الأراضي اللبنانية والسورية منذ أحداث ١٨٦٠ موئلاً لتنافس الإرساليات الدينية الغربية على إنشاء المدارس، كثُر عدد المتعلمين، وهاجر العديد منهم إلى مصر بسبب سياسة العثمانيين وقوانينهم الصارمة التي قيَّدت حرية الصحافة. وهناك أصدروا صحفاً ساعدها رجال الاحتلال الإنكليزي على الوقوف في وجه المحاولات العثمانية للقضاء عليها. لذا راح بعضهم يدعو إلى اقتفاء أثر مصر وإلى نشر التعليم الإنكليزي واللغة الإنكليزية. مثلاً ورد في «المقطم» أن «اللغة الإنكليزية من أوسع لغات البشر وأكثرها انتشاراً لأنها لغة شعبين عظيمين راقيين أعلى مراقي المجد في هذا العصر وهما الشعب الإنكليزي والأمريكي»[٢].

هنا نتساءل، إلى أي مدى ساهمت الصورة السلبية عن العثمانيين في وضع صورة إيجابية عن الغرب؟

---

(١) Sullerot Evlyne, **la presse féminine,** éd. Armand Colin. Paris 1969. p. 6.

(٢) المقطم ١٨ شباط/فبراير ١٨٩١.

ومن الملاحظ أن أغلب السوريين الذين استعان بهم الإنكليز في الصحافة العربية وخدموا في الإدارة المصرية تحت إشرافهم كانوا من أبناء المدارس والإرساليات الأجنبية. لدرجة أن ذلك ولّد نفوراً بين المثقفين السوريين والمصريين برز على صفحات الجرائد، على غرار ما حصل بين «المؤيد» و«الإتحاد المصري». وبين «المقطم» و«النديم»، و«الأهرام» وغيرها[١].

إن استخدام الإنكليز لمختلف الجنسيات لإصدار صحف عربية في مصر حوّل البلاد إلى مسرح لجرائد متنوعة يصدر عنها صور متنوعة عن الغرب. هذه تقول إنها وطنية، أخرى تدعو للإنكليز وثالثة للفرنسيين ورابعة للعثمانيين وهذه متذبذبة وتلك متخصصة.. إلخ. ويصف هارتمان هذه الحالة بأنها قد تكون مثار إزعاج لدى البعض. لكن ليس هناك ثمة داعٍ لذلك، فإن الجهل والبلادة المسيطرين على العقول كانا بحاجة إلى بذل جهد ضخم للتخلص منهما، فإلى جانب المدارس لم يكن من وسيلة فعالة سوى الصحافة[٢].

ولعل أهم ما تميز به المجتمع المصري في العقد الأول من الاحتلال كان بروز موضوع المرأة على مسرح الحياة الاجتماعية. إذ كان لوجود المرأة الأوروبية في مصر والتي تتمتع بقسط من الحرية حرمت منه المرأة العربية سبباً في إثارة الموضوع على صفحات الجرائد والمجلات، وخصوصاً الأدبية منها. وكانت آراء كرومر الحاكم البريطاني المعلنة في تحرير المرأة تتفق مع ما نادت به الصحف الموالية للإنكليز «كالراوي» و«المقطم» و«المقتطف». برأي كرومر «إن الوضع العام للمرأة في مصر يقف عقبة في سبيل الوصول إلى أي تقدم. وهو يمزج بين تعليمها وهز معتقداتها. ويؤكد أن حدوث التغيير في أخلاق المصريين وصفاتهم القومية لن يتم بسرعة وسهولة لكنه حادث فعلاً... هيهات أن يتشرب المقلدون المصريون روح التمدن الأوروبي إذا لم يحدث تغيير تدريجي في مقام المرأة المصرية»[٣].

في هذا السياق وبعدما كان إصدار الصحف عملاً محصوراً بالرجال[٤]، أصدرت

---

(١) عبد الله حديدي، **النديم خطيب الوطنية**، مكتبة مصر.

(٢) سامي عزيز، **الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال**، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨، ص: ١١٣ عن هارتمان ص: ٥١.

(٣) عزيز سامي، **الصحافة المصرية وموقفها من الإحتلال**، مرجع سبق ذكره عن كرومر mod Egypt، مجلد ٣، ص: ٥٣٩ ـ ٥٤٠.

(٤) يشرح هارتمان سبب تأخر المرأة عن الرجل قائلاً: إن اتهام المرأة في مصر بانها بعدت عن الميدان =

هند نوفل عام ١٨٩٢ مجلة «الفتاة»[١] معلنة ولادة الصحافة النسائية اللبنانية في مصر، على أيدي لبنانيات مسيحيات خريجات الإرساليات الأجنبية يعشن أوضاعاً مادية مرتاحة، في إطار النهضة العربية وفي قلب الصراع الدائر آنذاك بين التقليد والحداثة وبين الشرق والغرب.

وترحب «المقطم» و«النيل» المؤيدتان للإنكليز بمجلة «الفتاة»[٢] التي تبدو الصورة المثالية المشعّة عن الغرب بادية فيها منذ العدد الأول. فهي تفرد عدة صفحات بعد الافتتاحية مباشرة للإشادة «بجلالة الملكة فكتوريا ملكة إنكلترا المعظمة... حامية الدين والإيمان...»[٣] وتتخذ من مظاهر الحياة الإنكليزية مصدراً للاقتباس والاستشهاد والمحاكاة بشكلٍ مبالغ فيه يحمل تعميمات مطلقة وأحكاماً جاهزة. «فالحياء من أجمل الصفات المعتبرة في النساء، وحسبنا ما نراه في التقليدات الإنجليزية، فإن الرجل منهم لا يقدر بأن يأتي عملاً يؤول إلى تكدير حساسات النساء ولا أن يتلفظ بأقل كلمة ذات معانٍ كثيرة إحتراماً وإجلالاً لهن. وهكذا من مواجب المرأة الإنكليزية مع ما هي عليه من السلطة الإدارية والسيادة الأدبية أن لا تخرج من بيتها دون رأي زوجها». ثم تنادي بحقوق النساء السياسية مستشهدة بما يجري في إنكلترا... وكيف أصبحت المرأة الإنكليزية متصرّفة بنفسها، حرة في شغلها وفي المبالغ التي تستثمرها... إلخ[٤].

وإذا كانت باكورة الصحف النسائية قد عملت على نقل صورة إيجابية مثالية عن الغرب، فكيف بدت لنا صور الغرب في الصحف التي تلتها في هذه الفترة والتي بلغ عددها ٣٣ صحيفة[٥] التي كما أشرنا سوف نأخذ نموذجاً منها مجلة «السيدات والبنات» التي قدّمت نفسها على أنها مجلة إصلاحية.

= العام أمر مبالغ فيه... يجب ألا ننتظر منها أن تدخل ميدان الصحافة، إذ إن الظروف التي تحيط بها لم تكن تبعث على صقل مواهبها. لكن السورية المسيحية كانت على خلاف ذلك. إذ كانت تتمتع بجرأة غير عادية... فلا عجب إن رأيناها تقتحم الميدان الصحفي. أنظر عزيز سامي، مرجع سبق ذكره عن هارتمان. ص: ٢٩٨.

(١) **الفتاة**، مجلة نسائية أصدرتها هند نوفل في مصر عام ١٨٩٢.

(٢) **النيل** ٢١ نوفمبر/ت٢ ١٨٩٢ والمقطم ٢١ نوفمبر/ت٢ ١٨٩٢.

(٣ و٤) **الفتاة**، ٢٩٠ نوفمبر/ت٢ ١٨٩٢ ـ الفتاة أول يناير/ك٢ ١٨٩٣.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه المجلات أنظر نهوند القادري، **نشأة الصحافة النسائية اللبنانية** (١٨٩٢ ــ ١٩٢٠)، الفكر العربي، العدد ٥٨ ت ١ ـ ك ١ ١٩٨٩.

صور الغرب في مجلة «السيدات والبنات»

قبل الولوج في البحث عن صور الغرب في مجلة «السيدات والبنات» لا بد من الإشارة إلى أمرين قد نفهم من خلالهما خلفية الصور التي قد نصادفها في هذه المجلة:

١ ـ تعلمت صاحبة المجلة روز أنطون في مدرسة من أشهر مدارس البنات الأمريكية الكبيرة في بيروت. والمصادر التي اعتمدتها من أجل الكتابة لمجلتها هي عدة كتب لمؤلفي ومؤلفات الإنكليز والأميركان مثل (قاموس سير ومبادىء) وكتاب (ما يجب أن تعلمه الفتاة) (طبيعة الولد) و(أصول التربية والتعليم)[١].

٢ ـ هاجرت روز أنطون مع عائلتها من ضمن من هاجر من اللبنانيين إلى مصر طلباً للحرية وللعمل ومن بينهم أخوها فرح أنطون صاحب مجلة «الجامعة» والذي عرف عنه أنه اضطر فيما بعد للهجرة إلى أمريكا إثر مناظرة بينه وبين محمد عبده حول ابن رشد. ثم عاد ليوصي السوريين في مصر بأنه لا شيء يضرهم أكثر من اتخاذ مواقف مع الإنكليز أو مع الفرنسيين. وأن عليهم ألا يكونوا مع أو ضد إنما فقط مع الإصلاح ولمصلحة المصريين[٢].

إن مطلب الإصلاح بالتؤدة هذا سنرى انعكاسه في العمليات التوفيقية التي سوف تتم خلال رسم صورة الغرب. ففي رد صاحبة المجلة على قارئة تسألها ما الطريقة لتقوية قلب صديقتها المقتنعة بعدم جدوى الحجاب، ولكن يمنعها ذلك الحياء ومراعاة العادة؟ تجيبها: «يظهر أن صديقتك كريمة فبدل أن تلوميها على ضعفها امدحيها لتعقلها... فرفع الحجاب لزيادة حرية المرأة أمر حسن ولكن ينبغي له التدرج شيئاً فشيئاً»[٣].

وحول اعتقاد بعض الشرقيين أن التمدن العصري مضر ورديء تقول: الذنب ليس ذنب اللبن إذا فسد بل ذنب الإناء لأنه لم يكن نظيفاً[٤]. ولمن تريد التشبه بالإفرنجيات تنصحها بما يلي: إذا رمتِ التشبه بالإفرنجيات فتشبهي بالعيال الطيبة لا

(١) **السيدات والبنات**، نيسان ١٩٠٣.
(٢) **السيدات والبنات**، السنة الثانية، العدد ٧، ١٩٠٥، والعدد ٣، ١٩٠٥.
(٣) **السيدات والبنات**، الجزء الخامس، آب ١٩٠٣.
(٤) **السيدات والبنات**، الجزء السابع، أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٣.

بالعيال الواطئة، والعيال الطيبة عاداتها كعاداتنا...»[١].

ويشبه موقف صاحبة المجلة موقف أخيها فرح أنطون الذي أعلنه على صفحات «السيدات والبنات» على الشكل التالي: «لست بمقترح انقلاباً في هيئتنا ولا براغب مس النظام الحالي إلا بما يقويه ويصلحه... لا أطلب للنساء تغييراً سياسياً واجتماعياً، إنما أطلب لهن زيادة في النفوذ والسلطة وعلى الخصوص السلطة الأدبية داخل العائلة... أطلب لهن تثقيفاً وتربية صارمة ليتسنى لهن محاربة العوائد المتراخية... غايتي الرجوع القهقرى وتربية امرأة القرن العشرين على مثال امرأة القرن السابع عشر فإن هذه ما خرجت من منزلها إلا في القرنين التاليين... ولما خرجت تكدر صفو العائلة وأصبح مأوانا الساحات العمومية... وإذا دام الأمر على هذا المنوال فسنصبح كالأمريكيين منازلنا الفنادق العمومية...»[٢].

أبرز الزوايا التي حملت صور الغرب

أبرز الزوايا التي حملت صوراً واضحة للغرب هي التالية:

أخبار نساء الغرب:

إن الإجابة عن السؤال التالي: أي نساء؟ وأي غرب؟ توضح عملية الانتقاء التي قامت بها صاحبة المجلة لتخبرنا عن نساء الغرب. فهذه الأخبار لم تردنا بالصدفة، إنما اختيرت بناء لمعايير لها علاقة بأهداف المجلة وبخلفية صاحبتها الثقافية وبنوع الجمهور الذي تتوجه إليه... إلى ما هنالك من اعتبارات تحدد بجزء كبير كيفية رسم صورة الغرب انطلاقاً من هذه الزاوية والتي جاء في مقدمتها ما يلي: «يذكر هذا الباب صدى أعمال نساء الغرب ومشروعاتهن في هذا العصر وأخبارهن في الأدب والإحسان والجمعيات الخيرية والعمومية»[٣].

ولتبين المجلة مدى التقدم والتطور اللذين تسير بهما المرأة الغربية تخبر قراءها عن إنشاء مدرسة لتعليم النساء الزراعة في إنكلترا، وعن تكاثر عدد النساء اللواتي يقدمن على الوظائف العمومية في أوروبا وأمريكا، وعن أن النساء يعملن أكثر من الرجال في اليابان.

(١) **السيدات والبنات**، الجزء الثامن، نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٠٣.
(٢) **السيدات والبنات**، الجزء السادس، السنة الثانية، مايو/أيار ١٩٠٥.
(٣) **السيدات والبنات**، الجزء الثاني، مايو/أيار ١٩٠٣.

بينما لم تتكل نساء روسيا اللواتي تقول المجلة بأنهن شبيهات بنساء الشرق في حفظ العادات الشرقية، على الحكومة التي لا تجيز تعليم البنات الصناعات العمومية في مدارسها، لذلك افتتحت إحدى السيدات صيدلية مخصوصة بالنساء الروسيات ليتعلمن هذا الفن.[١] وتقدم المجلة لخبر حصول نساء أوستراليا على حق الانتخاب السياسي بقولها: «نساء أوستراليا تقدمن جميع النساء»[٢]. وهذا ما يدل على أن معيار التقدم لدى المجلة يترجم بحصول المرأة على حقوقها السياسية. ومن خلال وصفها لزوجة الغني المشهور Krenylyos Belt وهي تطارد القطار ركضاً، ترسم لنا صورة عن نشاط وإقدام النساء الأمريكيات. ولا تنسى أن تخبرنا عن اعتلال صحة زوجة روزفلت لكثرة إفراطها في إقامة الولائم والحفلات[٣].

أما الأخبار التي أوردتها المجلة والتي تحمل صوراً سلبية عن الغرب فقد أُرفقت بتعليق يوحي للقراء بضرورة الانتقاء لدى الأخذ من الآخرين وأن هناك من يخطىء ومن يرتكب أفعالاً يدين الآخرين لو قاموا بها. وأن الصور الجاهزة التي يحملها بعض الغربيين عن الشعوب الأخرى هي مصدر العنصرية وهي التي تقف عائقاً أمام تفاهم الشعوب فيما بينها. فالخبر الأول تقدم له المجلة كالتالي: «يا مدام تييريس سأضربك. لو سمع رجل شرقي يقول لامرأته اذهبي وإلا سأضربك لقال: تبًّا للشرقيين وخشونتهم. ومع ذلك فإن مسيو تييريس الذي كان رئيساً لجمهورية فرنسا قال ذلك لامرأته أمام أحد أكابر المصورين»[٤]. وهنا لم تنتقده المجلة على تصرفه مع امرأته إنما على الصورة التي يحملها الغربي عن الشرقيين.

أما الخبر الثاني والذي يحمل صورة عن عنصرية امرأة أمريكية تجاه السود، فقد أوردته المجلة مع إضافة قصدت من خلالها القول إن رئيس الجمهورية الأمريكية غير عنصري، في حين أن الخادمة تركت عملها كي لا تخدم زنجياً!! «لويزا إهلداي الأمريكية خادمة أحد الفنادق رفضت أن تخدم زنجياً فتركت الفندق الذي اتفق يوماً أن نزل فيه المستر واشنطن «العبد الأسود» الذي تناول الغداء مع رئيس الجمهورية الأمريكية في أحد الأيام»[٥].

وتصف لنا في الخبر الثالث تزاحم الرجال والنساء في المعيشة الأوروبية على

(١ و٢) **السيدات والبنات**، الجزء الثاني، مايو/أيار ١٩٠٣.
(٣) **السيدات والبنات**، ١ نيسان ١٩٠٣.
(٤ و٥) **السيدات والبنات**، الجزء الخامس، آب ١٩٠٣.

الوظائف والمصالح مما ولّد نفوراً بينهم بسبب المصلحة. وأنه تألفت جمعية نساء في إنكلترا غرضها «بغض الزواج وكراهة الخضوع للرجل». ولم يسع صاحبة المجلة إلا أن تعقب على ذلك بانتقاد ضمني للغرب بدا من خلال إطراء الذات، قائلة: «ما أحسن هدوء المعيشة في بلادنا بالنسبة إلى هذا الاضطراب»(١).

ومن خلال خبر يتعلق بجريدة «المقلاع» النسائية الفرنسية، تطمئن صاحبة المجلة القراء إلى «أن المساواة السياسية بين النساء والرجال في فرنسا ليست موضع ترحاب عند كافة الأوساط وبالأخص عند النساء الميالات كما تقول بحكم الطبع إلى حفظ التقاليد القديمة. وأن الجمهوريين بعدما تنبهوا إلى أن من الغلو في الحرية ما يخالف مذهب النساء ويناقض مصلحتهن، صار بعضهم يرفض المساواة السياسية بين الرجال والنساء، لأن هذه المساواة تقتضي تخويل النساء حق الانتخاب السياسي. ومتى كان لهن هذا الحق استعملنه لتأييد المبادىء التي تخالف المبادىء الجمهورية لميلهن إلى الأرستقراطية والتقاليد كما تقدم»(٢).

من خلال هذا الباب نستنتج أن صاحبة المجلة رسمت لنا صورة عن المرأة الغربية السائرة في طريق التقدم والتطور ونيلها لحقوقها، غير أن مستويات هذا التقدم تختلف من بلد لآخر ومن فئة لأخرى، وأنها تلقى صعوبات وعوائق خاصة فيما يتعلق بالمساواة السياسية. وأنه إذا أردنا التشبه بالغرب فما لنا إلا أن نتشبه بعقلائه الذين يتأنون في التطور وبنسائه الميالات بحكم الطبع إلى حفظ العادات والتقاليد. (نلاحظ هنا أن المساواة السياسية بين المرأة والرجل كانت ولم تزل إشكالية مطروحة في الغرب نفسه).

شهيرات النساء

جاء في مقدمة هذا الباب «أن الهدف من نشر شهيرات النساء الشرقيات والغربيات ليكنّ قدوة صالحة في الفضيلة والخير والأدب... فإذا فخرت النساء الغربيات بمدام دي سيفيينه ومدام دي ستايل ومدام رولان، فإن للشرقيات الحق بأن يفخرن بالخنساء وغيرها من النساء»(٣). يتبين لنا من خلال هذه المقدمة أن

(١) السيدات والبنات، نيسان ١٩٠٣.
(٢) السيدات والبنات، أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٣.
(٣) السيدات والبنات، الجزء الثالث ١٩٠٣.

الصورة عن الذات حتى وإن كانت خجولة لم تغب عن عملية رسم الصورة عن الآخر.

ففي المواضيع المخصصة لنساء الشرق وصفاتهن، كان مقياس الوصف هو المرأة الغربية «فالابنة المصرية حين تبلغ الخامسة عشرة يحجزونها في البيت ويمنعونها من الخروج بخلاف الغربية فإنها حرة غير مقيدة. وتقييد المرأة المصرية هو سبب عدم تقدمها لتماثل غيرها... وبيوت المهذبات المصريات مرتبة مثل بيوت الغربيات تماماً»(١). وبرأي صاحبة المجلة أنه «لا يجوز أن نلوم المرأة المصرية، لأنه لو توفرت عندها وسائل التهذيب كما للغربية لماثلتها بل لفاقتها»(٢). لكننا لم نتمكن من معرفة ماذا تقصد الكاتبة بوسائل التهذيب.

وتعود في مكان آخر لتصف الفلاحة المصرية مؤكدة أنها تضاهي الفلاحة الأمريكية في الذكاء ولو كانت تحصل على «المراعاة» الصحية التي تحصل عليها الأمريكية وتتعلم في صغرها في المدارس التي تتعلم بها الأمريكية لساوتها في العلم والمعرفة(٣).

وكأن الكاتبة ترسم في هذا الباب صورة للمرأة الغربية مشحونة بالإعجاب الممزوج بالحسرة والفخر المختلط بعقدة الدونية. فالغربية بنظرها هي المثال لا لأنها ذكية ومهذبة ومرتبة.. إلخ، بل لأنه توفر لها الكثير من وسائل التهذيب والتعليم والرعاية. لذا يصبح ضمناً المثال هو النظام أو البيئة الغربية. و«إذا كانت المرأة الغربية تفتخر... فنحن أيضاً يحق لنا الافتخار...».

أسئلة صحية وأدبية

حاولت المجلة من خلال الإجابة على أسئلة القارئات أن تصحح صور الغرب الموجودة في أذهانهن والقائلة «كل ما هو فرنجي برنجي». وذلك من خلال تكرار مسألة أن للشرق حسناته وسيئاته ونحن إذا أردنا أن نقلد الغرب فلنقلد الناس الصالحين. مثلاً رداً على سؤال: «إنني أحب الرقص الإفرنجي كثيراً والذهاب إلى التياتر وأكثر أهلي يعارضونني في ذلك، فلماذا هذه المعارضة لأمر كهذا لا ضرر

(١) **السيدات والبنات**، الجزء التاسع ١٩٠٣.
(٢) **السيدات والبنات**، الجزء العاشر ١٩٠٣.
(٣) **السيدات والبنات**، الجزء الثامن ١٩٠٣.

منه؟» كان الجواب يحمل استغراباً على استغراب: «قولك لا ضرر منه قول غريب... الرقص لا يجوز للابنة المهذبة إلا في بيتها وأمام أهلها... وإذا رُمت التشبه بالإفرنجيات فتشبهي بالعيال الطيبة لا بالعيال الواطئة. والعيال الطيبة عاداتها كعاداتنا»(١).

عوائدنا وعوائدهم

سعت صاحبة المجلة من خلال هذا الباب إلى تقريب المسافة بين عادات الشرقيين والعادات الغربية وذلك من خلال البحث عن نقاط مشتركة، ولعل ما قالته عن الرقص يترجم هذه المحاولة: «كي لا نرمى بالجهل أمام أهل الغرب علينا أن نعرف أشياء كثيرة عن الرقص من باب الفكاهة. وإذا أردنا أن نرقص، فلنرقص من أجل الرياضة الجسدية وليس الخلاعة كما هو حاصل عند عقلاء الغرب»(٢).

وإذا توقفنا قليلاً أمام هذا الموضوع نجد أن كلامها أتى محملاً بشحنة من الخوف والتردد يمكن تفسيره على أوجه عديدة: خوف من أن تتهم من بيئتها المحافظة أنها تشجع الرقص، لذا قالت نورد ذلك في باب الفكاهة. وهذا الخوف يحمل بداخله خوفاً آخر من الغرب: فهي تريد أن تعرف عن الرقص ليس حباً بالمعرفة إنما خوفاً من أن ترمى بالجهل من قبله. أو قد يكون ذلك مطلباً لقارئاتها اللواتي يمثلن فئة من النساء أوضاعهن المادية مرتاحة بحيث يتسنى لهن الخروج إلى المراقص و«التياتر». أو خوفاً عليهن من الإسراع في التفرنج فراحت تفند لهن الرقص بأنه رقصان: واحد للخلاعة وآخر للرياضة قائلة إنها تحبذ رقص الرياضة تشبهاً بعقلاء الغرب. وبذلك يصبح الغرب هو المرجعية الأساسية إن كان في التسرع أو التمهل... فعلاً إنها حيرة ما بعدها حيرة تحمسها دائماً بالعودة إلى العقلاء والطيبين في الغرب الذين يمكن اعتبارهم مكابح للتطور السريع هناك.

ولعل خطتها في رسم الصورة عن الغرب تبدو واضحة أكثر عندما تقول: «إن الغرض من هذه المقالات ذكر عوائدنا الشرقية والغربية الذميمة للحث على إصلاحها قدر الإمكان... وما سنذكره هنا من العادات ليس عاماً للجميع، فإن بعض الأمم مثلاً لا يطبق عليها ذلك، وبعض الطبقات قد تركته وأصلحته. وإنما نحن نتكلم هنا على

(١) السيدات والبنات، الجزء الثالث ١٩٠٣.
(٢) السيدات والبنات، الجزء السادس ١٩٠٣.

وجه الإطلاق مبتدئين منذ بدء حياة الإنسان»[١].

دفعاً لأية تهمة وكي لا توضع أمام مسؤوليتها في حال حصلت إساءة لاستعمال عادات الغرب من قبل المقلدين، فإن صاحبة المجلة، على اعتبار أن مجلتها ناقلة لصور الغرب ومروّجة لها، تقول منذ البداية «إن المشكلة ليست في الغرب بل في المقلّد الذي يتناول الأسهل والألذ... وبرأيها إن هذا يكون ضرره أكثر من نفعه إذا أسيء استعماله ولم يوضع في موضعه كان ضرراً محضاً متمنية حسن الاختيار»[٢]، ذاكرة أمثلة عن العادات التي أسيء استعمالها منها: «مسألة الزيارات، بحيث انتقلت المرأة الشرقية من تطرف في عدم الخروج من البيت إلى تطرف آخر وهو عدم الدخول إليه، فهي تركت المرأة الأوروبية في الوسط وسبقتها في الزيارات وتركت البيت والأولاد على الخادمات».

وهكذا وقعت هي أيضاً ضحية التعميم والاستسهال في رسم صورة المرأة الشرقية المبالغة وصورة الغربية المعتدلة. لأن الزيارات وترك البيت والأولاد للخادمات كان عملاً محصوراً ببعض النساء الغنيات فقط ونسبتهن من مجموع النساء لم تكن كبيرة بالطبع.

وتتناول مسألة الكلام باللغة الأجنبية في الزيارات، الشائع أيضاً في أوساط نساء الطبقة المتعلمة والغنية قائلة: «تود النساء أن يكنّ أوروبيات وكأنه لا يوجد شيء حسن إلا في أوروبا. وهل اسم الشرقي يمنعنا أن نكون متمدنات ومهذبات؟ وهل لم يكن للشرق المنزلة الأولى في التمدن والتهذيب في الزمن القديم؟ ثم أتجهلن أن ما نراه في الغرب اليوم ليس سوى تتمة التمدن الشرقي الأول. ومن الغريب أننا نحب تقليد زي الأوروبيات وثيابهن ونترك تقليدهن بالاقتصاد وجودة الصحة وحب العمل. فكثيرات من بنات الأغنياء في أمريكا وأوروبا يخدمن المرضى في المستشفيات عدا عن أن العيال الإفرنجية متى كانت بحاجة دفعت في الحال أبناءها وبناتها للعمل»[٣].

نلاحظ من خلال هذه الزاوية أن صورة الغرب لا تغيب عنها صورة الأنا، هما في حالة تقابل مستمرة، فحالما تشعر صاحبة المجلة بتراجع صورة الأنا تسارع إلى دفعها وإبرازها. (هل اسم الشرقي يمنعنا أن نكون متمدنات...) وحينما تشعر أن

(١ و٢) السيدات والبنات، الجزء السابع ١٩٠٣

(٣) السيدات والبنات، الجزء الثاني ١٩٠٣.

هناك عدم قبول لصورة الآخر (كما تريده هي) تسعى لتجميلها منتقدة صورة الأنا... وهكذا دواليك. حرصاً على الموازنة بين التقليد والحداثة.

فوائد وفكاهات

لا تغيب صورة الغرب عن هذه الزاوية، فهي موجودة في آداب المنزل في طرق التعامل مع الضيوف، آداب المائدة، لبس القبعة... واختلاف ذلك لدى الشعوب الغربية. مما دعا صاحبة المجلة لأن تقول إنه أمر يلبك السيدات[1]. لذلك أرادت أن يكون هذا الباب عبارة عن فوائد تساعد النساء المترفات اللواتي يحرصن على تقليد الغرب في أدق التفاصيل، وأن يحمل فكاهات تستغلها المجلة لتقديم الأوروبيات العاملات كنموذج للاحتذاء بهن. فتورد مثلاً خبراً ملخصه ما يلي: قالت «مدام» دي بروتييل الكاتبة الفرنسية المشهورة «إن مشداتنا تضغط على المعدة والكبد والقلب والشرايين وذيولنا تكنس الغبار في الشوارع... ولبس ملابسنا يستغرق وقتاً طويلاً»... وتضيف المجلة: «هذه هي العلل الأصلية في ملابس السيدات يضاف إليها كثرة النفقة على تزيين هذه الملابس... فصار همّ الأوروبيات العاملات أن يصنعن ملابس خالية من هذه العلل. فتألف منهن حزبان عظيمان واحد في هولندا وآخر في باريس»[2].

تبرز في هذه الزاوية صورة الغرب المحدّدة لمعايير الجمال والصحة والراحة في اللباس. وحتى في انتقاد اللباس الذي أنتجه. إذ أرادت صاحبة المجلة أن تقول: كيف نعجب بهذه الموضة الغربية في حين أن الغربيين أنفسهم ينتقدونها ويحاربونها. بذلك نستنتج أن هذه الصورة كانت انعكاساً لإشكالية مطروحة في الغرب نفسه.

القصص الشهرية والروايات

تبدو حيرة صاحبة المجلة أكثر وضوحاً من خلال زاوية «القصص الشهرية» فهي تشيد برواية معينة من ناحية، وتنصح الفتيات بعدم قراءتها من ناحية ثانية! وقد حاولت بناءً لطلب الأهالي إبراز الضرر الأدبي الذي تلحقه الروايات بالفتيات موضحةً مثلاً: «تعلّم هذه الروايات الفتيات أن الحب هو حب الجسد لا غير... وأنه

(١) **السيدات والبنات**، الجزء الرابع ١٩٠٣.
(٢) **السيدات والبنات**، الجزء السادس ١٩٠٣.

متى أحبت الفتاة لا يجوز أن تصبر على الفراق»... متوجهة إلى الأهالي بقولها: «هل رأيتم إلى أية هاوية تجر مطالعة بعض الروايات»، معللة سبب قول الإفرنج عن الفتيات اللواتي يكن شديدات النزق والطياشة «إنهن فتيات أفسدت الروايات عقولهن»[١].

وفي مكان آخر تتكلم عن «الساحرة» أشهر رواية تمثيلية ذاك العام، عروسها فتاة مسلمة لمؤلفها فكتور ساردو ومثلتها سارة برنار قائلة: «إذا كان بعض أدباء المصريين والشرقيين يكتبون إلى المسيو ساردو لشكره على تصوير النفس البشرية هذا التصوير الجميل فإنهم يفونه حقه في الثناء». غير أنها تستدرك لتقول لولا أن الرواية كلها مبنية على الحب لكنا نشير بذلك على بعض القارئات. وتستأنف لتقول إن «ساردو سيربح من روايته هذه في سنتين فقط خمسة آلاف ليرة فرنسوية. وبما أن الفنون الجميلة هي مقياس ارتقاء الأمم كما قالوا، فمن هذا الفرق بين رواياتهم ورواياتنا نعلم مبلغ ارتقائهم عنا»[٢].

تبرز في هذا الباب صورة الغرب الراقي بفنونه ورواياته وأدبه، وصورة الرواية الغربية المزدوجة فهي تصور النفس البشرية أجمل تصوير من ناحية وتفسد عقول الفتيات من ناحية أخرى.

أزياء

تقدم الكاتبة(*) لهذا الباب بالقول: «إذا أردنا عدّ كل هذه الأنواع من الموضة الغربية يطول بنا الشرح وإن كانت كتابته (للتفكهه). لكن إذا كانت هذه الموضة هي الدارجة فلا شك أن كل صاحبة ذوق سليم تعلم أن لا موضة أجمل من البساطة ولا جمال حقيقي سوى الجمال الطبيعي ولا لذة إلا بالاقتصاد»[٣].

في هذا الباب تكمن المفارقة التي ميزت تلك الفترة: تعرض الموضة وتطلب الاقتصاد بالمصروف. ثم تعود لتحلل لماذا كل موضة تدرج وتبطل، إنما موضة حب تغيير الموضة لا تبطل، قائلة: «لا شك أن ذلك ناتج عن ضعف فينا سببه عدم

---

(١) **السيدات والبنات**، الجزء التاسع ١٩٠٣.

(*) يعود استخدام كلمة «كاتبة» إلى أن معظم المقالات كانت غير موقعة كونها إما من إعداد صاحبة المجلة وإما مترجمة من لغات أجنبية.

(٢) **السيدات والبنات**، الجزء الثاني ١٩٠٣

مقدرتنا على البقاء في حالة واحدة، وهذا أمر لا يوافقنا ولا يوافق جيوبنا أيضاً...».

ويعبر تفسير الكاتبة حب تغيير الموضة بضعف فينا إما عن نقص في معلوماتها عن الغرب أو عن تجاهل أن الموضة هي وليدة المجتمع الرأسمالي الغربي الاستهلاكي، وهي تحمل الكثير من القيم والدلالات التي تخدم هذا النظام وتعود عليه بالفائدة، وهي بالتالي من مستلزمات الحداثة.

المرحلة الثانية (١٩٢٠ ـ ١٩٤٣)

أصبحت الصحافة النسائية في هذه المرحلة تصدر في لبنان بعد وقوعه تحت الانتداب الفرنسي، إنما لم تعرف الازدهار الذي عرفته سابقاً في مصر، أصبحت سوقها أكثر ضيقاً، ولم تسهّل لها حرفيتها الأخذ بالأساليب التقنية الجديدة التي بدأت ترد إلى المنطقة. إلى جانب أن الانطلاقة التي عرفتها في المرحلة السابقة، جاعلة من تطوير المرأة اهتمامها الأساسي، حدّها في هذه الفترة التقدم الفعلي الذي حققته المرأة نفسها على صعيد التحرر.

أفردت الصحافة النسائية آنذاك جانباً كبيراً للمسألة الوطنية محذرة من مخاطر التخلي عن التقاليد بشكل مفاجىء، مؤكدة أهمية تعليم المرأة وتركها الحجاب، داعية إلى تدعيم الوحدة الوطنية وإلى تشجيع الصناعة الوطنية. لكن على الرغم من المتغيرات الطفيفة بقيت هذه الصحافة عملاً فردياً صادراً عن نساء يتمتعن بمواصفات الفترة السابقة. وبقي الطابع الأدبي غالباً عليها. وإن كانت بُدلت بعض التسميات (السوريات بدلاً من الشرقيات).

صور الغرب في مجلة «المرأة الجديدة»[1]

لا شك أن صور الغرب التي شكلتها الصحافة النسائية في المرحلة السابقة أصبحت تعد كمرجعية لتركيب صور جديدة ليس فقط عن المرأة الغربية إنما عن نساء الأمم الأخرى. وهكذا وصفت مجلة «المرأة الجديدة» المرأة التركية «بالناهضة

(١) «المرأة الجديدة» كما أشرنا مجلة شهرية أصدرتها جوليا طعمه في بيروت عام ١٩٢١ ـ ١٩٢٨. جوليا طعمة ولدت في المختارة عام ١٨٨٠ والدها الكاتب جورج طعمه زوجها بدر دمشقية رئيس بلدية بيروت، تلقت دروسها في مدارس الامريكان في صيدا كانت مديرة مدرسة المقاصد وعضواً في جمعية نسائية. تقول إن هدفها من المجلة: إستقلالية التربية والتعليم، تحسين الحياة العائلية، تطوير المرأة السورية اجتماعياً، أدبياً وعلمياً.

على الطريقة الأوروبية». وفي كلامها عن خالدة أديب التي أسست داراً للمعلمات في سوريا على نمط مدارس الغرب تقول: «في الحكومة العمالية اليوم امرأة يسميها الإنكليز دعامة مصطفى كمال، كما يلقبها الفرنسيون «جان دارك الشرق...»»[١]

ثم تعود لتحدث القراء عن التطور النسائي في تركيا: «عبثاً نحاول التحفظ ومشي الهوينا في مدينتنا الحاضرة على ما يعهد من شريعة النشوء والارتقاء... هذه هي المرأة التركية التي اشتهرت بانصرافها إلى البذخ والإسراف وعدَّها الغربيون أكثر من الباريسية غنجاً وكياسة... إلا أن الحرب الأخيرة قد أيقظت المرأة من نومها العميق فنفضت عنها غبار الدلال والرفاه ونزلت ساحة الأعمال. وكان لما قام به مؤخراً الغازي مصطفى كمال باشا بطل الساعة ورجل تركيا اليوم بأعماله الحربية، للمرأة اليد الطولى في نجاح مهمته وفوزه الباهر»[٢].

هذا ما يرينا إلى أي مدى شكلت صورة الغرب مرجعية للصور عن الشعوب الأخرى. فالإعجاب بالمرأة التركية ما كان ليتم لولا إعجاب الغرب بها أولاً. والحكم عليها يتحدد سلباً وإيجاباً بمدى قربها أو بعدها عن الغرب...

أما كيف بدت صور الغرب في هذه المرحلة، فهذا ما سنراه من خلال تتبعنا للزوايا والأبواب في مجلة «المرأة الجديدة»:

أخبار نساء الغرب

يتضمن هذا الباب أخباراً تحمل بداخلها صوراً متنوعة عن الغرب منها:

الغرب الذي تكتسب فيه المرأة حقوقها. مثلاً إعطاء المرأة في الولايات المتحدة حقها في اختيار الجنسية منفردة عن زوجها[٣]. الغرب المخترع أو المشجّع للاختراعات والإنجازات سواء كانت آتية من المرأة أو الرجل فالمجلة تقدم خبراً عن المخترعات الإنكليزيات بإعجاب يتضمن حسرة على حالتنا قائلة: «قدمت النساء الإنكليزيات في السنة الأخيرة ٣٣ ألف طلب امتياز باختراعات جديدة».

ثم تنتقد بسخرية رجال الشرق قائلة: «أما هنا فلم يأتِ دور الرجال بعد...

(١) **المرأة الجديدة**، الجزء الأول، السنة الثالثة ١٩٢٣.
(٢) **المرأة الجديدة**، الجزء الرابع، السنة الثالثة ١٩٢٣.
(٣) **المرأة الجديدة**، الجزء الثاني، السنة الثالثة ١٩٢٣.

ولعل سيداتنا يتقدمن رجالنا في هذا المضمار»[١]. وتظهر صورة الغرب الديمقراطي من خلال خبر عن مآثر «اللايدي أستور التي قدمت مشروع قانون لمجلس النواب البريطاني بتحريم بيع المسكرات للتفتيات والفتيان دون سن ١٨ والموافقة عليه»[٢].

أما الغرب المشجّع للفضيلة رغم ضغوط الغواية الناتجة عن مغريات الحداثة. فتبدو صورته في خبر عن جوائز الفضيلة التي وضعتها جريدة «إيكودي باري»[٣] والذي تبدي الكاتبة ارتياحها له قائلة: «جاء هذا الاقتراح جديداً في بابه لأن الناس يهتمون على الغالب بجوائز الجمال تفننوا بها كما شاؤوا».

العاملات في النهضة النسائية

تستعين الكاتبة في هذا النص بالغرب لترسم صورة مشجعة عن الذات الأنثوية، فيها العاملات في النهضة النسائية اللبنانية عبقريات ومبدعات... إلخ. وذلك كله بفضل ما هيأه الغرب لهن من وسائل تعليم وتهذيب. وبذلك يبدو الغرب ذلك «الوسط السعيد» وتلك التربة الخصبة لنمو العلم وتفجير الذكاء: «فأنسطاس بركات باز إذا قلنا أنها هجرت بلادها وقصدت الأقطار الأمريكية السعيدة لدرس العلوم العالية فليعلم الجميع أن افتقار البلاد إلى وسائل التعليم لا يقف حاجزاً في سبيل الفتاة المجتهدة الناهضة» (لكن هل كل المجتهدات لديهن المقدرة على السفر لمتابعة العلم؟!).

وإذا قلنا إنها تفوقت على بنات صفها الأمريكيات... فلتعلم الفتاة السورية «أنها لا تقل إقداماً واقتداراً وذكاء عن أختها الأجنبية إذا أتيح لها أن تتعلم... وإذا امتازت الغربية على فتياتنا فإنها تمتاز بما يهيىء لها الوسط الذي تعيش فيه من وسائل تعليم وتهذيب»[٤].

وعندما أرادت الكلام عن ماري يني ومجلتها «منيرفا» قالت: «لا أذكر هذه النابغة إلاّ وتمر بمخيلتي ذكرى مدام سيفينيه التي اشتهرت في عالم الأدب»[٥].

---

(١) المرأة الجديدة، الجزء الثاني، السنة الثالثة ١٩٢٣.
(٢) المرأة الجديدة، الجزء الخامس، السنة الثالثة ١٩٢٣.
(٣) المرأة الجديدة، الجزء الثالث، السنة الثالثة ١٩٢٣.
(٤) المرأة الجديدة، الجزء الثاني، السنة الثالثة.
(٥) المرأة الجديدة، الجزء السادس، السنة الثالثة.

هكذا تحاول الكاتبة استخدام صورة المرأة الغربية القادرة الذكية ـ المقدامة... إلخ، لإعطاء المرأة السورية المتتبعة خطاها ثقة بنفسها تساعدها على رسم صورة إيجابية عن الذات حتى وإن كان الوسط «بائساً»!.

أعمال النساء

يبدو لنا أن الغرب من خلال هذا الباب صاحب مآثر في الحسنات والأعمال الخيرية. فالأعمال الخيرية التي قامت بها بعض النساء الناهضات ما كانت لتتم لولا مساعدة الغربيات. مثلاً تخبرنا المجلة عن تأسيس جمعية الصليب الأحمر اللبنانية السورية على الشكل التالي: «لدى دخول جيوش الحلفاء إلى بلادنا هبت مدام دي فريج لتأسيس هذه الجمعية، فكتبت إلى باريس تطلب قوانين الجمعية مع شيء من المعونة المادية لتأسيس العمل، فأرسلت لها رئيسة جمعية باريس الكونتيسة دي Hossonville مبلغاً من المال وممرضة شهيرة». ولم تنس أن تذكر أن الجمعية وضعت تحت رعاية «فخامة» الجنرال غورو[1]. الذي تذكر في مكان آخر أن من حسناته افتتاح دار الرضاع في بيروت وأنه تطوع لخدمة هذه الدار عدد من الأوانس من أجنبيات ووطنيات[2].

أصبحت صورة المرأة الغربية مقياساً للتطور تسعى المرأة السورية في نضالها لنيل حقوقها للوصول إليه أو لمقاربته، وهذا ما بدا في الأخبار عن نشاطات جامعة السيدات والاتحاد النسائي الدولي... كذلك برزت صورة الغرب المزدهر بالعلوم في كلمة مدام باسيل بافت التي ألقتها في اجتماع جامعة السيدات، إذ قالت: «هذه بيروت الزاهرة بالعلوم كثرت فيها المعاهد التي تضاهي أعظم المعاهد الأوروبية والأمريكية.... لقد أخذنا عن الإفرنج العلوم الحديثة والتمدن بكامله فلنتبع الجيد ونترك القشور اللامعة المضرة»[3].

أما صورة الغرب الجاف الذي تنقصه المجاملة ودفء العاطفة فظهرت من خلال رسالة إلى المجلة بعنوان أياً نختار المستشفيات الأجنبية أم الوطنية؟ وفيها تتم مقابلة الصورة عن الأنا بالصورة عن الآخر: «الأجانب يتناهون في التدقيق

(١) **المرأة الجديدة**، الجزء الثاني، السنة الثالثة.
(٢) **المرأة الجديدة**، الجزء الرابع، السنة الثالثة.
(٣) **المرأة الجديدة**، الجزء الثالث، السنة الثالثة.

الناشف العاري عن المجاملة التي اعتادها الشرقي وهذا يعد نقصاً في السياسة الغربية الجافة. بينما في المستشفى الوطني نلقى من الأنس الشرقي والتدقيق الموضوع في محله واحترام العواطف وحسن المعاملة...»[١].

وأخيراً تطرح المجلة في هذا الباب إشكاليات ناتجة عن العلاقة مع الغرب وفيها مفارقات. مثلاً تتسائل تحت عنوان: «هل تقوم نساء سوريا بما عجز عنه رجالها؟ هل تستطيع المرأة أن تنشىء الجمعيات التي لا غاية لها إلا الدعوة إلى الوحدة السورية وبث الروح الوطنية (تجاه من؟ لا يبدو ذلك واضحاً!) هل تنتشر المرأة السورية في أطراف سوريا كما تنتشر المرأة الأجنبية في كل قطر للقيام بأعمال الخير من تعليم وتمريض وإسعاف»[٢].

وتحت عنوان: «تكيف الأخلاق من الجدة إلى الحفيدة» تطرح الكاتبة إشكالية ثانية تعبر عن تضارب الصور في ذهن الفرد. تقول: «نغّص عيش الحفيدة في أواخر أيامها اختلاف مشارب أولادها وبناتها: هيلانة تعلمت عند الإنكليز وحنة عند الأمريكان وساره عند الفرنساويين وهند في زهرة الإحسان... ويوسف عند الأتراك. كانت ترى صعوبة في جمعهم ولو مرة واحدة على المائدة بدون مشاكسة لأن كل واحد منهم اتخذ أخلاقاً خاصة. فعلمتها هذه التجربة المرة أن توصي أولادها أن يعلموا أولادهم في مدرسة واحدة حرة المبادىء وطنية النزعة»[٣]. بهذه الطريقة تنبهنا إلى صورة الغرب المتنوع المنعكسة تشتتاً في صورتنا عنه وبالتالي في صورتنا عن أنفسنا مما يجعل تلاقينا أمراً صعباً.

الأزياء الصحة والجمال

حاولت صاحبة المجلة من خلال هذا الباب أن تصحح الصورة الموجودة عن الغرب في أذهان النساء المقتدرات مادياً، من خلال تبيان أن هناك في الغرب الكثير من العقلاء ورجال الدين وكرام السيدات من يدعو إلى نبذ الأزياء المضرة بالحشمة والجيوب. ترتسم من خلال هذا التصحيح صورة الغرب ذات الوجهين: المستهلك من ناحية والمنتج من ناحية ثانية. تحت عنوان محاربة الغلاء والأزياء تقول: «كثيراً ما ضج العقلاء والمفكرون من تهور بعض السيدات في أزياء ملابسهن فألفوا الجمعيات

(١) المرأة الجديدة، الجزء الثالث، السنة الثالثة.
(٢ و٣) المرأة الجديدة، الجزء الثاني، السنة الثالثة.

لمحاربتها وكان الدافع لذلك الحشمة والاقتصاد. وامتدت هذه الروح إلى كندا والولايات المتحدة... فأخذت تعلق النياشين لمن يكون قدوة في الاقتصاد». وتعطي مثلاً عن المستر فورد صاحب أكبر مصنع سيارات أنه كان يرتاد المطعم مع صغار الموظفين.(١)

وتنعكس إشكالية الغرب هذه (المنتج ـ المستهلك) على صاحبة المجلة لأنها تعود لتصرّح في باب «الصحة والجمال» أن الهدف هو «حفظ الصحة وخصوصاً الجمال الذي صار الآن بعد ارتقاء الذوق العمراني من أهم مطالب المرأة وأنها كي توفي هذا الموضوع حقه انتدبت أمهر العارفين د. حبيب تابت الذي قدم مؤخراً من مدينة الجمال باريس...»(٢).

أدواؤنا الجديدة

يعكس هذا الباب البعد الخاطىء لفهم صورة الغرب عند النساء المقتدرات مادياً اللواتي انبهرن على عجل بمظاهر الحياة الغربية، ويعكس أيضاً خطأ النخبة المطّلعة على كنه الثقافة الغربية وذلك بمحاولتها تصحيح الصورة عن الغرب بشكل مبالغ فيه أحياناً. مثلاً حاولت الكاتبة حث النساء الغنيات على العمل من خلال استقدام صورة المرأة الغربية الريفية والعاملة. وكأن المرأة في الريف في بلادنا لا تعمل ولم تكن تعمل. وهذا ما يعبر عن اختلال الصورة عن الآخر وعن الذات في آن معاً.

تحت عنوان «الجمال الظاهر والمستتر» تبدو لنا صورة المرأة الغربية العاملة التي تخدم نفسها وتعمل في الحقل. ولا وجود لصورة المرأة المترفة في البلاد الغربية. إذ تتوجه صاحبة المجلة إلى القارئات بقولها: «لا تطلبن أن يخدمكن خادم. أخدمن أنفسكن، ثم إياكن والكعب العالي فإنه آفة الراحة والسعادة والصحة والجمال... والسلام لكن وعليكن يا بنات أقدم الأمم وأرقى الشعوب... تأملن المرأة الأمريكانية والأنكلوسكسونية في بيتها وقد حسرت عن ذراعيها القويتين للعمل بعد أن مرت بدجاجها وبطها... وسطل الحليب النظيف بين رجلي البقرة الكبيرة تنظر إليه هذه السيدة نظرة الملاك المكفي الشبعان. تعلمن أن نساء الإنكليز والأميركانيات الغنيات يخدمن أنفسهن ويشتغلن في البيت والحقل كأزواجهن... استطردت إلى هذه

(١) المرأة الجديدة، الجزء الرابع، السنة الثالثة.
(٢) المرأة الجديدة، الجزء الثاني، السنة الثالثة.

الخاتمة لأنفي عن أذهانكن ما ربما يكون عالقاً فيه من تصور الحقيقة على ما قد نتوهمه أن النساء الغربيات همهن التستت وقراءة الروايات واستقبال الزوار والضرب على البيانو.»[١]

أيضاً ترمي صاحبة المجلة داء الزواج المتأخر على شرور التمدن في الغرب مبدية امتعاضها قائلة: «أمسى الزواج اليوم على الأغلب صفقة تجارية، بات الشاب لا يسأل إلا عن البائنة والفتاة لا تنظر إلا إلى ثروة الشاب ومقدرته على اتباع أميالها في حب الظهور في السهرات والمراقص بأحدث الأزياء».[٢]

حديث المهجر

تحاول المجلة من خلال هذا الباب الذي تحرره الكاتبة عفيفة كرم المهاجرة إلى أمريكا الجنوبية[٣] أن تصحح صورة المرأة المهاجرة لدى أختها المقيمة في الوطن مركزة على اختلاف الوسط الذي تعيش فيه كل منهما والذي يملي، برأيها، على كليهما تصورات خاطئة تحملها الواحدة عن الأخرى. ونظراً لضيق المجال سنكتفي بإيراد الصور عن الغرب كما بدت في رسالة كرم: هناك في البداية صورة للتراتبية التي تحكم المدنية الغربية: مدنية أمريكا الجنوبية أحط من مدنية أوروبا (هذه أوروبا الفاصلة بيننا وبينك بمدنية أحط منها مدنيتنا وأرقى من مدنيتك تجهل حتى الوقت منازعنا...).

صورة تلك البلاد العظمى حيث المرء بعمله وليس بحسبه ونسبه (العمل نظام البلاد العظمى التي نسكنها... المرء في تلك الديار ابن جده وكده لا ابن أبيه وجده).

صورة الغرب الذي يعلي من شأن الأمومة ويقدر الروح البشرية وينظر إلى المرأة شريكة وليس وعاء نسل، فيه للمرأة حقوق كما للرجال.

صورة المرأة المهاجرة التي هي أكثر «تصوناً ومحافظة من الأمريكية».

صورة الأمريكية التي هي أكثر «تصوناً وحشمة من الأوروبية نظراً لتربيتها ونظامات مدنيتها وقد جعلها استقلالها الأدبي والمادي ربة نفسها فلا تدنيها من

(١) **المرأة الجديدة**، الجزء الثالث، السنة الثالثة.
(٢) **المرأة الجديدة**، الجزء السادس، السنة الثالثة.
(٣) **المرأة الجديدة**، الجزء الخامس، السنة الثالثة.

السقوط حاجة ولا يدفعها إلى التهور عوز أو جهل».

هكذا ترانا أمام تراتبية في الصور. فمن خلال صورة المرأة المهاجرة التي رسمتها الكاتبة تولدت صور عديدة استفادت منها (استخدمتها) لإيصال رسائلها: المرأة السورية متخلفة عن المهاجرة بأشواط بسبب المؤثرات الجديدة المتعلقة بمقتضيات المحيط الذي رسمت له أيضاً صورة عظيمة بشكل مبالغ فيه، وأخيراً صورة الأمريكية التي حاولت أن تزيل التشوهات عنها معتبرة أن الاستقلال المادي والأدبي يحصنان المرأة ويقيانها من العثرات والأخطاء.

ملوك الموسيقى

اللافت في هذه المرحلة التركيز ليس فقط على صورة الغرب من خلال المرأة إنما أيضاً من خلال أخبار العلماء وملوك الموسيقى والممثلين. من باستور[١] إلى هاندل وباخ وهادين وموزارت[٢] إلى سارة برنار[٣] تحمل هذه الزاوية صورة الغرب موطن العلم والفن والإبداع.

مجلاتنا ومجلاتهم

وأبلغ تعبير عن تنوع زوايا صور الغرب يبدو في مقالة تحت عنوان «مجلاتنا ومجلاتهم»[٤]. ترتسم في هذه المقالة صورة الغرب الراقي بمجلاته بسبب مؤازرة الناس لها وإقبالهم عليها وتشجيع أهل الفكر والقلم لها.

وقد حاولت الكاتبة من خلال إعطاء صورة عن المجلات الغربية المزدهرة. والمدهشة في ضخامة حجمها وجودة ورقها وغزارة موادها... أن تعبّر عن تأففها وامتعاضها من حالة المجلات عندنا وعدم مساعدتها، فرسمت لها صورة قاتمة مقابل صورة مضيئة لمجلات الغرب، علّ ذلك يشكل حافزاً لمساعدتها في إصدار مجلتها هي «صوت المرأة». مثلاً على صعيد مؤازرة المجلات والإقبال عليها، «تعتبر كل سيدة من سيدات الغرب أن من مستلزمات معيشتها الضرورية أن يكون لديها مجلة من المجلات، كل رجل متزوج يرى أن لزوجته الحق في الاشتراك في المجلات النسائية. ففي بلاد الغرب جميع طبقات الشعب تشترك بالمجلات وتطالعها وتؤدي بدل اشتراكها مقدماً. التجار ينشرون إعلاناتهم على صفحاتها، الأدباء والكتاب يقبلون

(١ و٢ و٣) **المرأة الجديدة**، الأجزاء ٣ ـ ٤ ـ ٥، السنة الثالثة.

(٤) **المرأة الجديدة**، الجزء الثاني، السنة الثالثة.

على مساعدتها بنشر آرائهم فيها». وطبيعي ألا تنسى توجيه نداء إلى حضرات المشتركين الذين لم يتكرموا بتسديد بدل الاشتراك.

وهنا تبرز الغائية في رسم صورة الغرب واضحة، فهي تُستخدَم أحياناً كمرجعية لتدعيم الآراء والمواقف أو لدحضها وأحياناً أخرى كحافز يدفع الأفراد للقيام ببعض الأعمال أو كابح يحول دون القيام بها لدى بعضم الآخر.

المرحلة الثالثة ١٩٤٣ ـ ١٩٦٠

عرفت الصحافة النسائية في هذه المرحلة انطلاقة كبيرة بسبب عوامل عدة منها: إستقلال لبنان، حصول المرأة على حق الانتخاب، إنتشار التعليم، تطور دور لبنان كمركز للتجارة والسياحة والمال والثقافة والإعلام في منطقة الشرق الأوسط. وترجم دوره على الصعيد الإعلامي بكثرة عدد المطبوعات التي خلقت جواً تنافسياً أدى إلى تحسينات في الطباعة والإخراج وتنويع المحتوى. شكلت نهاية هذه المرحلة ثورة على صعيد الصحافة النسائية إن كان بالانتقال من المرحلة الحرفية إلى المرحلة الحديثة الصناعية، أو بالانتقال من صحافة الرسالة والعمل الطوعي لملء أوقات الفراغ، إلى صحافة المهنة والتجارة. وراحت هذه المجلات تهتم بجسد المرأة أكثر من السابق حيث أخلى المفهوم المثالي عن المرأة المكان لمفهوم آخر أكثر واقعية[١].

والملاحظ أنه في بداية هذه الفترة بدأت رحلة التفكير بالذات وإعادة رسم صورة عنها إزاء الآخر في ظل أوضاع جديدة تحتم الاعتماد على النفس، وتبحث في كيفية تحقيق الاستقلال. غير أن هذا التصور سرعان ما عاد ليصطدم بالصورة عن الآخر من جديد. فإرث الصورة القديمة لم يمحَ، وإمكانية الاعتماد على الذات ودرجة الثقة بالنفس ما زالت محدودة وتفتقد لمقومات وجودها نظراً لقلة الإمكانات وقد برز ذلك من خلال الدعوات والآمال والاقتراحات التي قدمتها نخبة من النساء المتعلمات المطلّعات على الثقافات الغربية في زوايا وأبواب مجلة «صوت المرأة».

صور الغرب في مجلة «صوت المرأة»[*]

في الواقع، إن محاولات وضع تصور عن الذات، وعن الوطن المستقل، لم تكن

(١) يتضمن المفهوم المثالي عن المرأة شروطاً عديدة: أن تكون متعلمة، مقتصدة، زوجة فاضلة، عاملة، أم مضحية، متسامية... إلخ.

(*) **صوت المرأة**: كما أشرنا مجلة نسائية صدرت في بيروت عن جامعة نساء لبنان عام ١٩٤٦، ثم =

لتتم بمعزل عن الآخر وبالتحديد الغرب. إذ بدت صورة هذا الأخير من خلال الدعوات للاستقلالية، وللمواطنية، وللتطور. مثلاً نجد أن وردة اليازجي دعت الشرقيات إلى «العلم والمعرفة ومماشاة النساء الغربيات في الجوهر لا في القشور حتى يحق لهن فيما بعد المطالبة بالمساواة التامة مع الرجل...»[١] وتتضمن هذه الدعوة بعداً جديداً يدل على فهم متقدم لصورة المرأة في الغرب، فهي لم تتوصل إلى ما هي عليه من المساواة إلا لأنها استحقت ذلك بالعمل والمعاناة.

بينما تصوّرت آلن ريحان مستقبل وطنها بمعزل عن تأثيرات الغرب وذلك من خلال «مدارس وجامعات وطنية غير متأثرة بعوامل أجنبية وبنزول الفتاة إلى كل الحقول في العمل في جو نظيف لا تلوثه الأفكار المتأخرة»[٢]. إنها محاولة لرسم صورة للذات مستقلة عن القديم وعن الغرب في آن معاً.

أما كلام سلوى محمصاني فقد حمل صورة للغرب المتجسد بشركات تستثمر خيرات وقدرات الشعوب الأخرى. فهي تحدد مواصفات المواطنية من خلال: «المساهمة في إنماء الثروة الوطنية وتعزيز الصناعة وتحريك العقل لأن ركوده يدفعنا إلى الهاوية لتستثمرنا الشركات الأجنبية رغم توفر الذكاء في أبنائنا»[٣]. إنه بعد جديد في صورة الغرب لم نكن لنصادفه في المراحل السابقة.

وتحمل لنا المناقشات حول التعليم المختلط بين سلام خوري المؤيدة له ومصطفى العوجي المعارض[٤] صوراً عن الغرب المكوِّن مرجعية تربوية لكليهما. فخوري رأت في الغرب الأساليب الحديثة في التربية والتي وصفتها بالإيجابية والتي ترمي إلى تقويم العاطفة والشعور بمسؤولية الفرد تجاه الجنس الآخر. بينما عوجي رأى في العودة إلى Buffon وFenelon خاصةً في كتابه «تربية الفتاة» ما يبرر موقفه ضد التعليم المختلط.

أما رأي سليم نصار في المرأة اللبنانية فهو يتم تبعاً للمقياس الاجتماعي

= أصبحت تصدر بالتعاون مع دار الكتاب اللبناني عام ١٩٤٩ لغاية ١٩٥٨. كانت أسبوعية ثم تحوّلت إلى شهريّة.

تعاقب على رئاسة تحريرها الكتاب التالية أسماؤهم: رشدي المعلوف ـ يوسف الخال ـ فؤاد سليمان ـ أدفيك شيبوب.

(١ و٢) صوت المرأة ـ ك ١ ـ ١٩٤٨.

(٣ و٤) صوت المرأة ـ أيار ـ ١٩٤٩.

الغربي الذي استخدمه ليس فقط للحكم على المرأة اللبنانية وإنما للحكم على نساء الشعوب الأخرى وذلك من خلال مدى القرب أو البعد عن الغرب. إذ يقول: «المرأة اللبنانية أوفر حظاً من النساء الشرقيات والسبب يعود لعدة عوامل: كثرة المدارس الوطنية والأجنبية ـ نزوع الشعب اللبناني للهجرة والنزوح ـ المعرفة بسائر لغات العالم ـ كثرة الأغراب»[١]. وكلها عوامل تدل على أن الاحتكاك بالغرب يولد حظوظاً وافرة.

نستنتج من خلال هذه الأمثلة أن صورة الذات المستقلة استحال بناؤها بمعزل عن تأثيرات صور الغرب ولقد أمكننا أن نجمع صور الغرب التي وردت في مجلة «صوت المرأة» من خلال عناوين ثلاثة:

المرأة الغربية وأخبارها

نجد في هذا الباب تنوعاً كبيراً في المواضيع من أخبار الأزياء الجديدة في باريس إلى أخبار نضال المرأة الأمريكية وجهود هيئاتها النسوية لإصدار التشريعات الإصلاحية وضغطها لإصدار عدة قوانين تزيل العوائق أمام اشتراك المرأة في الوظائف الحكومية في القرون الماضية.

تعكس لنا هذه الأخبار صورة المرأة الغربية المدافعة عن خصوصيتها الأنثوية. فمثلاً: «احتجت أكثر من مليون سيدة بريطانية على بحوث الأطباء التي ترمي إلى القضاء على الألم في حالة الولادة، لأن ذلك برأيهن سيقضي على المتعة الروحية للأمهات!!»[٢].

كما وتبدو لنا صورة المرأة الأمريكية الذاهبة في طريق التطور حتى وإن كان ذلك يتنافى مع رغبات الرجل، وهذا ما جاء في استفتاء قامت به إحدى المجلات الأمريكية بين الرجال المتزوجين. فرداً على سؤال: «هل تحبذون عمل الزوجة خارج البيت أجاب ٩٠٪ منهم لا. وتضيف رغم هذا الموقف السلبي من قبل الرجال ما يزال عدد المتزوجات العاملات خارج البيت يتزايد يومياً»[٣].

وحول الفروقات بين الجنسين في موضوع تقبل الأفكار الجديدة تلوح لنا

(١) صوت المرأة ـ ك ١ ـ ١٩٥٠.
(٢) صوت المرأة ـ أيار ـ ١٩٤٩.
(٣) صوت المرأة ـ آذار ـ ١٩٤٩.

صورة الغرب الكنسي الذي نظر إلى القرن التاسع عشر على أنه قرن الانحطاط الخلقي. وبدا ذلك في خبر عن الدراسات التي قام بها علماء النفس على ٥٠٠ شخص من الجنسين، والتي بينت أن ثلث النساء يتأثر بالحوادث والأشياء بينما لا يتأثر سوى خمس الرجال... وتضيف «بأن الدراسة التي قام بها علماء النفس في القرن الماضي أثبتت أن القرن التاسع عشر كان قرن الانحطاط الخلقي... وما زال هؤلاء يلاحظون الانحطاط المتواصل في الأخلاق. فعدد اللواتي يتناولن المشروبات الروحية في قرن واحد ارتفع من ٦,٣٪ إلى ١٧,٣٪»[١]. ولعل هذه الإحصاءات تعكس بعض الزوايا المخيفة لصورة الغرب والتي تعكس قلقه هو بشأن الكثير من القضايا قبل أن تنعكس علينا نحن فيما بعد بقلق مضاعف.

حق المرأة في الانتخاب

تمَّ في هذه الفترة التي بدأت تناضل فيها المرأة اللبنانية للحصول على حقها في الانتخاب، الاستدعاء، وبشكل كبير، لصور المرأة الغربية التي ناضلت من أجل اكتساب هذا الحق فاستحقته. فكانت تجربة المرأة الغربية جاهزة للتمثل بها من قبل كافة الأطراف سواء كانت مستعجلة أم متأنية أم مترددة: منهن من اعتبرن أن متطلبات الحضارة العالمية الحديثة والتي يقع حق المرأة في الانتخاب من ضمنها، المعرفة وتنمية الشخصية المستقلة. وهذا ما ورد في إجابة د. فريدة بيسار رداً على سؤال: هل توافقين على إعطاء المرأة حق الانتخاب فأجابت: «طبيعة لبنان شديدة الشبه بالطبيعة السويسرية هذه كشرقية وتلك كغربية. وإن المرأة السويسرية لم تحصل بعد على المساواة في الحقوق مع الرجل وهذا بناءً على رغبتها... أما المرأة اللبنانية بالرغم من أنها أقل تقدماً من السويسرية إلا أن لها من الذكاء الفطري ما يميزها إلى حد ما ولكن تنقصها المعرفة وتنمية شخصيتها مستقلة بما تتطلبه الحضارة العالمية الحديثة»[٢].

ورداً على اعتبار أعضاء المجلس النيابي أن المرأة لا تصلح للتصويت في الوقت الحاضر قالت روز غريب: «لماذا يصوت الأمي ولا تصوت المثقفة وكي تدعّم موقفها تستحضر صورة الغرب الذي أصبح موضوع تحرير المرأة أمراً مفروغاً منه

(١) صوت المرأة ـ ت ٢ ـ ١٩٤٧.
(٢) صوت المرأة ـ أيار ـ ١٩٤٩.

في أوساطه فقلما نعثر على موضوع يتناول مثل هذه الأسئلة: هل خلقت المرأة للبيت؟ هل يحق لها التصويت...»[1].

غير أنها تضيف على صورة المرأة الغربية المتحررة بعداً نضالياً، فتلفت نظر النساء إلى أن الحقوق تؤخذ غلاباً. والدليل «أن نساء إنكلترا جاهدن ٧٤ سنة للحصول على حق التصويت (١٨٤٦ ـ ١٩١٩) وأن نساء أمريكا جاهدن نحو ١٠٠ سنة حتى حصلن عليه سنة ١٩٢٠ ... وإذا ذكرت نساؤنا ما قاسته المجاهدات من زعيمات الحركة النسائية في أوروبا في القرن الماضي من اضطهاد الرجل وقسوته وسخريته هانت أمامهن المتاعب التي يلاقينها من أنصار الرجعية عندنا».

والملاحظ من خلال هذه الزاوية أن البعد السلبي في صورة الغرب بدت ملامحه في هذه الفترة أوضح من السابق.

إنتقاد الأوضاع السائدة

أتت أيضاً عملية انتقاد الأوضاع المحلية نابعة من صور الغرب وذلك من خلال المقارنة والقياس، وبدا ذلك عبر تحميل الغرب عبء المشاكل أو الأخطاء التي ترتكب وعبء تقصير الحكومات. مما يعني استسهال إلصاق التهمة بالآخر وتبرئة النفس والتنصل من المسؤولية، أو بالعكس وضع المواطنين أو المسؤولين أمام مسؤولياتهم من خلال صورة الغرب ودعوتهم للتمثل بها أو للعمل على تلافيها.

يحمل هذا النقد صورة الغرب الذي أذلّنا وشكل لدينا عقدة نقص، هجم علينا بمدنيته فجعلنا نقلب أولوياتنا. وهذا ما أتت به عنبره سلام تحت عنوان «الأوضاع المقلوبة» فهي تنتقد الارتباك الظاهر في حياتنا قائلة: «نحن شعب تتملكنا عقلية الوضع المعكوس. مغرم بالمظاهر على أنواعها». وتعود الأسباب برأيها: «أولاً إلى الشعور بمركب النقص الناتج عن ضغط الحكم الأجنبي وعصور الذل والجهل التي جرحت الكرامة الشخصية فاضطر القوم إلى التعويض عن هذه الكرامة المجروحة فلجأوا إلى الفخفخة». ثانياً إلى هجوم العوامل المدنية الغربية علينا وسبق عناصرها المادية لمستوانا الثقافي والفكري الذي يماشي هذه المدنية»[2].

(١) صوت المرأة ـ آذار ـ ١٩٤٩.
(٢) صوت المرأة ـ تموز ـ ١٩٥٠.

وتثير آلن ريحان، تحت عنوان «هدفنا إعداد وطن مثالي» مشكلة الوحدة وتنوع الثقافات الناتجة عن تنوع صور الغرب لدينا، قائلة: «ينقسم الشعب اللبناني في الوقت الحاضر فئات عديدة مختلفة التفكير والتعبير لا تجمعها لغة ولا يوحدها نظام بعضه يقلد الأنكلوسكسون وطرقهم، وبعضهم يتعشق الفرنسيين وحياتهم... وهناك فروقات أخرى نشأت من وجود مدارس طائفية... فكيف تنتظرون التعاون والتضامن ووحدة الأجيال والاتجاهات من جماعات مختلفة الأذواق والتربية»[١].

أما صورة الغرب المناضل من أجل حريته الفكرية فأتى بها يوسف الخال تحت عنوان «ماذا نريد»؟ إذ قال: «إذا لم يكن في بلادنا حتى القرن العشرين وجود للحياة والحرية الفكريتين فما ذلك إلا لأننا لا نشق طريقنا إليها على جماجم الشهداء والضحايا كما فعل الغرب قبلنا منذ خمسة قرون».[٢]

وبدت صورة الغرب القامع لثقافتنا المحلية، الراكض وراء مصالحه من خلال انتقاد روز غريب لتباهي اللبنانيين بما أسمته «هوس اللبنانية». أولئك الذين تتملكهم عقيدة أن لبنان محور الدنيا وقطب الدائرة ومبعث الأنوار والعلم والثقافة متسائلة: «بماذا يستطيع لبنان أن يتباهى، بالرقي بالثقافة بجامعاته وليس له سوى جامعتين أجنبيتين تفرض عليه كل منهما لون الثقافة ونوع العلم الذي تريد فلا يستطيع إلا أن يقبله على علاته بغثه وسمينه فضلات علوم الغرب وفتات موائده...»[٣].

اللافت هنا كيف تم استخدام صورة الغرب كوسيلة ـ صدمة لأولئك الواهمين بأنهم منتجون للثقافة لمجرد إتقانهم اللغات الأجنبية في حين أنهم ليسوا إلا مستهلكين لها.

كذلك تفعل سلمى صائغ حين تنتقد الحكم في لبنان من خلال صورة الحكم الصالح في بريطانيا... إذ تتوجه إلى وزير الخارجية فيليب تقلا معاتبة له قائلة: «لقد ناديتمونا في إذاعة لندن لنتعلق بأهداب النظام تعلق الشعب البريطاني... أتحسبوها جسارة إذا ما قال لكم «صوت المرأة في لبنان» هلا جعلتم لنا أولاً حكماً صالحاً كذلك الذي ينعم في فيئه الشعب البريطاني الهنيء السعيد!»[٤].

(١ و٢) صوت المرأة ـ تشرين الثاني ـ ١٩٤٧.
(٣) صوت المرأة ـ تموز ـ ١٩٤٨
(٤) صوت المرأة ـ ك ١ ـ ١٩٥٠.

هكذا بين صورة الشعب البريطاني المتعلق بالنظام وصورة الحكم البريطاني الصالح الناتجة عنه صورة للشعب الهنيء السعيد، تنوعت الصور بتنوع استخداماتها.

وأخيراً من الطبيعي ألا تغفل المجلة القضية الفلسطينية إن كان من حيث أخبار النساء والجمعيات التي بادرت إلى التبرع وإيواء اللاجئين[١] معتبرين ذلك واجباً عربياً قومياً. وهذا ما شكل حافزاً للاتجاه بصورة الغرب نحو السلبية أكثر من المراحل السابقة.

المرحلة الراهنة (مرحلة التسعينات)

لم تشهد هذه المرحلة ولادة صحافة نسائية بالمعنى التقليدي للكلمة أي تلك التي تفرد هامشاً كبيراً لقضايا المرأة لأسباب عديدة لا مجال لذكرها هنا[٢]. إنما شهدت عودة أو ولادة صحف نسائية هي في شكلها ومضمونها على تماس مباشر مع المرأة كجسد وهي تدعو إلى الإفراط في الاستهلاك مع الإشارة إلى أنها بمعظمها تصدر بالتعاون مع مجلات أجنبية وذلك ضمن توجه عرفته الصحافة في العالم قائم على عدة أمور منها:

- عولمة متزايدة للسوق الصحافية.
- أفول «الماغزين» التقليدية التي تهتم بربة المنزل واقتصاد الأسرة.
- صعود الصحافة المتخصصة ذات الطابع التسويقي.

ومن ضمن الصحف التي صدرت في التسعينات سوف نأخذ مثلاً مجلة «حواء»[٣].

صور الغرب في مجلة «حواء»

تحمل حالياً الزوايا التي هي على تماس مع جسد المرأة كالطب والريجيم والتجميل والأزياء، صوراً عن الغرب صاحب المرجعية في المعايير الجمالية والأنظمة

(١) **صوت المرأة** ـ تموز ـ ١٩٤٨ ـ وتموز ١٩٥٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر بهذا الصدد ـ نهوند القادري عيسى ـ **المرأة بين الإعلام المكتوب والمرئي** ـ مرجع سابق ذكره.

(٣) **حواء** مجلة نسائية شهرية صدرت في بيروت في آب ١٩٩٧.

الغذائية وأنواع الموضة والملبوسات... وكلها دلالات تعمل في إطار منظومة الاستهلاك، تليها زوايا الفن والجمال وعارضات الأزياء وما تحمله من الشهرة والنجومية والإثارة والثروة، بحيث تشكل حياة هذه الفئة من الناس إطاراً لرسم الصورة عن الغرب، حيث احتمالات الوصول إلى الشهرة والثراء السريع واردة بشكل كبير، مما يحول هذه الصورة إلى حلم يراود الفتيات والفتيان، شرط التشبع بقيم المجتمع الاستهلاكي.

إن هذه الزوايا التي تعد من مستلزمات وجود الصحافة النسائية والتي تلبي حاجات المجتمع الرأسمالي باعتبارها أدوات تساعد على حل أزمة تصريف الإنتاج كونها تحمل قيماً إستهلاكية وكونها يقف وراءها شركات إعلان ودور أزياء ومصانع أدوات تجميل... لن نتناولها بالتفصيل كونها غربية من الألف إلى الياء...

أما الزوايا الأخرى التَي تتوجه إلى المرأة كفكر فإنها تحمل صوراً قلقة عن الغرب وتعبر عن إشكاليات مطروحة في الغرب وعلى الغربيين أنفسهم قبل أن تطرح على شعوب العالم الثالث. وقبل أن تصلهم إما مضاعفة بمخاطرها وإشكالاتها، وإما مسطحة مبسطة إلى أبعد الحدود. لذلك سنحاول أن نرى كيف عالجت مجلة «حواء» موضوعات مطروحة على الساحة الدولية وما حملته هذه الموضوعات من صور عن الغرب:

تحت عنوان «بين الشرق والغرب» تعالج «حواء» تصوراتنا عن الغرب محاولة التفريق بين الصور المتخيلة الناتجة عن الأفلام ووسائل الإعلام والصور المعاشة الناتجة عن الاحتكاك الفعلي بالغرب من خلال الذهاب إليه والعيش فيه. ففي مخيلتنا يقول معين ياسين: «إن الغرب بلاد العجائب والغرائب والانفتاح والحرية والنظام لكن عندما نقرر العيش هناك تتبدل الصورة فكما أن هناك العادات الحسنة هناك أيضاً العادات السيئة، ولسوء الحظ ينبهر شبابنا بالغرب ويتبنون أسوأ العادات (الشعر الطويل شرب الكحول ـ المخدرات)... فيا ليتنا نتعلم من الغرب النظام والثقافة لنضيفها إلى تقاليدنا وعاداتنا»[1].

وكأن الكاتب يحاول أن يرسم صورتين واحدة للأنا فيها الفضيلة والسلوك السوي وأخرى للآخر فيها النظام والثقافة والعمل.

---

(١) حواء ـ السنة الأولى ـ العدد ٩ ـ ١٩٩٨.

وفي تحقيق عن المرأة المطلّقة، تنتقد باسمة عطوي صورة الرجل اللبناني الظالمة للمرأة الشرقية والمنحازة للمرأة الغربية التي تصورها على أنها مستهلكة تعاشر الرجل بدون علاقة شرعية... لتستنتج بنهاية تحقيقها: «الرجل الشرقي يرفض العربية المطلّقة ويقبل الأجنبية المستهلكة»[١].

وتحاول سوسن السيد خلال مقابلة معها حول الجمال ومعاييره أن ترسم صوراً عديدة للمرأة الغربية ـ واحدة تتمثل بـ باميلا أندرسون «المثيرة عن طريق السليكون والشد». وأخرى بـ ليدي ديانا «أسطورة القرن العشرين وسندريلا عصرها» كما تسميها لأنها رغم شهرتها الواسعة ظلت غاية في البساطة والبعد عن عمليات التجميل[٢].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن صورة المرأة الغربية التي تنقلها وسائل الإعلام في هذه الفترة أكثر ما تتمثل في نجوم الفن وعارضات الأزياء والأميرات.

وترسم فاطمة حوحو تحت عنوان «الاغتصاب شرقاً وغرباً» صورة عن المجتمع الغربي «المتسامح مع أخطاء أفراده والقائم على الشفافية والصراحة»، محاولة محاكمة صورتنا عن الغرب الذي «لا نجد فيه سوى الإباحية ونتجاهل حسناته. ورغم ذلك نقلده تحت حجة الانفتاح فنقيم حفلات لملكات الجمال من كل نوع سامحين لعصر الجسد أن يهيمن على مساحة حياتنا ولوحش المال أن يغتال قيمنا».

ولقد رسمت هذه الصورة المزدوجة عن الغرب الذي يحمل من ناحية قيم التسامح والصراحة... ومن ناحية ثانية قيم المال والمظاهر... من خلال قصة البرلمانية السويسرية نيكول كاستيوني التي «تعرضت للاغتصاب وهي طفلة ومن ثم خضعت لتجربة مرة في فرنسا حولتها إلى عاهرة بالقوة ولكنها عادت إلى موطنها وانخرطت في العمل السياسي والشأن العام. ثم اعترفت في كتاب صدر لها مؤخراً لاقى استحساناً في تلك الأوساط»[٣].

وتصور لنا المجلة المجتمع الغربي الأمريكي الاستغلالي الذي يسود فيه مبدأ المنفعة على كل الصعد، عندما تنقل لنا قصة التوائم الأمريكيين السبعة والذين شكلت

(١ و٢) حواء ـ السنة الأولى ـ العدد ٩ ـ ١٩٩٨.
(٣) حواء ـ العدد ١٢ ـ آب ١٩٩٨.

ولادتهم مورد رزق وثروة لكل من حولهم. فالمجلات التجارية تدفع أموالاً مقابل تصويرهم على كنزات، محطات التلفزة والصحف الشعبية مقابل تحقيقات، الكنائس تجمع التبرعات.. إلخ[١].

في زاوية «الكلام المباح» تحت عنوان «أعطوا أولادنا هويتنا» تبدو صورة المرأة اللبنانية الواقعة في الوسط تعاني من عقدتين: عقدة التفوق على المرأة في بلدان العالم الثالث، وعقدة الدونية أمام المرأة الأوروبية. إذ تتساءل سناء خطاب: «أين هي المرأة اللبنانية المتزوجة من غير لبناني؟ لماذا لا ننصفها ونحصنها كالدولة المتقدمة؟» هكذا تبرز صورة الغرب المتقدم الذي ينصف أبناءه. «لماذا لا نشعرها بالاعتزاز بلبنانيتها التي تتغنى بها وتميزها عن باقي الدول المتخلفة»؟ هذا ما يترجم عقدة التمايز المتأتية عن قرب اللبنانية من الغرب أكثر من غيرها من نساء الشعوب الأخرى. «ولماذا لا نمحو عنها الشعور بالنقص أمام المرأة الأوروبية التي يرتمي بأحضانها أغلى وأحلى شبابنا للحصول على جواز سفر يحرره ويفتح له أبواب العمل!!؟»[٢]

بهذه الطريقة تظهر صورة المرأة الغربية التي تجذب رجال الشرق والتي ترفض الكاتبة أن تعترف أنها تجذبهم لكونها امرأة مثيرة جميلة.. إلخ، بل لكونها تعيش في مجتمع يحضنها وينصفها.

وفي زاوية «كلمة حرة» تحت عنوان «من أجل حفنة من المال» ترسم المحامية ريما تقي الدين وهي تعالج فضيحة كلينتون ـ لوينسكي صورة للغرب وبالتحديد الولايات المتحدة على الشكل التالي: «بلاد العلم والاستنساخ... والاختراعات فيها الإنسان كآلة، بلا أخلاق. يبيع كرامته لأجل حفنة من المال ـ لا يقيم وزناً لقدسية النفس الإنسانية وسريتها، تخطت الإباحية حدودها ـ أصبحت الإباحية هي القاعدة والأخلاق استثناء كسلعة ـ مجتمع مكيافيللي أو مجتمع الغاية تبرر الوسيلة». وتعود بالنهاية لترمي سلاماً على من قال: «إنما الأمم الأخلاق ما بقيت...»[٣]. في هذه المقالة تبدو مقابلة أخلاقية الشرق وعفته بمادية الغرب ولا أخلاقياته واضحة.

وترسم حوحو من خلال «الفياغرا أو المونديال وجنون العالم» صورة الغرب المستغل المحوِّل الشعوب الأخرى إلى ضحايا استهلاك. وهنا الغرب هو غربان:

(١ و٢) حواء ـ العدد ١٢ ـ آب ١٩٩٨.

(٣) حواء ـ العدد العاشر ـ حزيران ١٩٩٨.

«الولايات المتحدة المنتجة لهذا الدواء والتي يعلو فيها أسهم الشركة المخترعة لهذا الدواء بسرعة هائلة، وأوروبا التي تبحث وتفكر باستعماله. بينما نحن نهرّب هذا الدواء، وندفع أثمانه مبالغ خيالية».[١]

وتعود المجلة لتتناول موضوع الفياغرا في زوايا أخرى مع سليمان عوده راسماً صورة قلقه للغرب ناتجة عن تحولات سريعة في ميادين العلم. قائلاً مثلاً: «وداعاً فرويد، جلساتك الطويلة والمملة واسترخاء لحظات على كرسيك تدعو إلى السأم لقد استبدلك العم سام بمعجزة صغيرة أخرجها من كم عباءته فجأة وفاز أخيراً بالفياغرا القاضية»، ومتسائلاً: «هل تحوّل الفياغرا الرجال إلى حيوانات جنسية. أي مصير للنساء أيضاً وتباعاً في عائلة يملك فيها الرجل فائضاً من كل شيء: السلطة، انحياز التقاليد، المال، والآن فائض الشهوات!»[٢]

أما مقابلة النائب د. محمود عواد فإنها تحمل لنا صورة للغرب «الحريص على اختراعاته والذي يعامل شعوب البلدان النامية كالحيوانات. فهو لا يستخدم علاجاً بطريقة اعتباطية، يتحقق من فاعليته على الفئران وشعوب الدول النامية» (مع احترامنا للجميع على حد قول د. عواد)[٣].

ويروي معين ياسين تحت عنوان «هل يحدد البعد الأخلاقي للانترنيت وظيفته العلمية». تجربته مع الأنترنيت ودخوله إلى مركز السحاقيات بدافع الحشرية وحب الفضول. وحين دخل في أحاديث معهن محاولاً اكتشاف السر المجهول الكامن وراء هذا العدد الكبير من السحاقيات تبين له أن الأسباب ليست عضوية بل نفسية. منهياً روايته بسؤال: «إلى أين نذهب في اهتماماتنا بالأنترنيت، ألا يشكل ذلك خطراً على شبابنا وبناتنا وهل سنسمح ببساطة بدخول الأنترنيت إلى بيوتنا أم لا؟»[٤].

أمام ظاهرة الأنترنيت تبرز صورة الغرب المنتج لهذه الوسيلة والتي من خلالها بإمكانه أن يغزو بيوتنا ويشيع لا أخلاقياته بين شبابنا وبناتنا. عدا عن أن هذه الصورة عن الغرب من خلال الأنترنيت ولّدت له صورة عن ذاته بدا فيها محللاً لأسباب السحاق جازماً بأنها نفسية وليست عضوية!

تعالج المجلة في زاوية «قصة» موضوع «الجنس والسياسة»[٥] راسمة صورة

(١ و٢ و٣) حواء ـ العدد ١١ ـ تموز ١٩٩٨.
(٤ و٥) حواء ـ العدد ١٣ ـ أيلول ١٩٩٨.

لرجال السياسة الغربيين الذين «يجمعون بين شهوة الجسد... والدم... وقت للنشوة ووقت للموت... حين تصل السياسة إلى ذروة النشوة تينع رؤوس الشعوب المستضعفة ويحين وقت القطاف والعدوان على الأبرياء». وهنا يغمز الصحافي من قناة كلينتون الواقع بين فضيحة لوينسكي وأزمة العراق. لكنه سرعان ما يعود ليمدح الصراحة الملفتة عند الشعوب الأخرى عندما يتكلم عن عالمنا الشرقي الذي «يتخذ الجنس فيه بحد ذاته طابع المحرم فكيف إذا كان يلتصق بالسياسة»؟!

وتفبرك المجلة في زاوية «من العالم» صورة عن الحياة الجنسية للمرأة الفرنسية التي «تتمتع بالحرية دون حدود ودون احترام للجسد عبر تحويله إلى سلعة يتداولها من يشاء. واعتباره وسيلة لتحقيق اللذة على حساب المبادىء السامية...» ورد ذلك تحت عنوان «كيف تعيش الفرنسيات حياتهن الجنسية...» وباستنتاج يحمل تعميمات مطلقة وصوراً منمطة: «الفرنسيات في السرير حرية دون رادع أو حدود!»[1]

ولا تنسى المجلة أن تذكر لنا تذكر لنا قصة الخادم السيريلانكي التي أطاحت بحكومة أرقى البلاد الأوروبية (الدانمارك)[2] ناقلة من خلالها صورة لتلك البلاد الديمقراطية التي تحترم حقوق الإنسان دون تمييز. والغريب أن هذه القصة التي أوردتها المجلة حملت عنواناً «وهل يعقل»؟ هذا العنوان بحد ذاته يحمل صورتين: واحدة إيجابية عن الآخر الديمقراطي المقدس لحقوق الإنسان دون تمييز وأخرى سلبية عن الذات التي تستغرب وبشكل مبالغ فيه أن يتسبب خادم سيريلانكي بإسقاط حكومة أرقى البلاد ديمقراطية. هكذا تبدو مسافة التنميط بين الخادم (وخصوصاً السيريلانكي) وبين الحكومة (وزيادة عليها أرقى البلاد ديمقراطية) جلية للعيان وإن لم تعلن.

خاتمة

أخيراً وجدنا بعد تتبع مسار صور الغرب في الصحافة النسائية اللبنانية خلال قرن من الزمن تقريباً أن نواة هذه الصور وفي كل المراحل كانت إشكالية التوفيق بين الحداثة والتقليد بوتيرة تذهب صعوداً أو نزولاً تبعاً للظروف والأفراد والحالات إلى أن تصل في المرحلة الراهنة مرتدية تسميات جديدة منها مثلاً: العولمة ـ

(١) حواء ـ العدد ١٣ ـ أيلول ١٩٩٨.
(٢) حواء ـ العدد ١٤ ـ ت ١ ١٩٩٨.

الخصوصية أو التأحيد ـ التنوع... إلخ.

هذه الإشكالية التي طرحت على المنطقة العربية ككل تصدت لها النساء الصحفيات بشكل مختلف، فيه شيء من المثالية ومن البحث عن التسامي رغبةً منهن ألاّ تضيع عليهن، من ناحية، فرصة الاستفادة من صور الغرب المتقدم الذي عرفنه من خلال المدارس التي تعلمن بها أو من خلال الترجمة التي قمن بها. ومن ناحية أخرى، خوفاً من رفض الوسط الاجتماعي لهن. لذلك كان البحث المستمر عن الموازنة بين التقليد والحداثة عنواناً لصور الغرب في المرحلة الأولى أي الموازنة بين الشرق والغرب، بين الرغبة في التفرنج والخوف من ضياع الهوية:

ـ الرغبة في التفرنج مدفوعة من عصور التخلف والقمع والرجل المريض.... وغيرها من التسميات التي أطلقت آنذاك على الدولة العثمانية.

ـ الخوف من ضياع الهوية مدفوعاً من الغرب الخارج من الصراع مع الكنيسة والمنتصر بالعقل[١]، وبعقدة التفوق والواضع نصب عينيه مهمة تمدين الشعوب وتحديثها[٢].

أما عنوان المرحلة الثانية لصور الغرب فيترجم، من خلال دراستنا، بالغرب المنتدب، الآتي إلينا ـ كما توهم البعض ـ ليحدثنا، ليمدننا وليخلصنا من الظلامة والانحطاط والجهل، فهو صاحب المآثر والأعمال الخيرية، المؤمِّن لنا وسائل التمريض والتعليم والتهذيب. وهو أيضاً المكافح، المناضل، المؤمن بالعمل والتطور وإذا نحن لم نتصوره على هذه الصورة نكون أسأنا فهمه وتكون المشكلة فينا وليست فيه (الذنب ليس ذنب اللبن إذا فسد بل ذنب الإناء الذي يحتويه)، مشكلتنا أننا نتصور الغربنة ترفاً، في حين أنها عناء ونضال وعمل... هذا جلّ ما أرادت المجلات إفهامه للقارئات في هذه الفترة.

عنوان المرحلة الثالثة لصور الغرب هو: المستغِل، جارح الكرامة، الراكض وراء مصالحه، الممارس عقدة التفوق، المسبب لنا الكثير من المشاكل والتفرقة وإذا أردنا أن نتطور ونكون جديرين باستقلالنا ما علينا إلا الاستفادة من حسناته كاحترام

(١) Ramonet Ignacio, **Géopolitique du chaos,** éd. Galille, paris 1997

(٢) Izvetan Todorov, nous et les autres ترجمة د. ربى جمود ـ دار المدى للثقافة والنشر، نيقوسيا ١٩٩٨ .

حقوق الناس، الديمقراطية، الحكم الصالح... إلخ.

وأخيراً عنوان المرحلة الرابعة، يختصر بالغرب التكنولوجي المصدّر للآلات المتطورة، الاستهلاكي المحوِّل كل شيء إلى سلع، الملوِّث للبيئة،.... إلخ. إنها صورة الغرب القلق من جراء تقدم الآلة على الفكر، الغرب الذي تلفه المفارقات: من ناحية هو متسامح مع أخطائه ومن ناحية أخرى مغتال للقيم، ديمقراطي في الداخل وقامع للشعوب الأخرى في الخارج.. إلخ.

يدل هذا المسار على أن هناك ارتباكاً في رسم الصور عن الغرب مرده في جزء منه إلى الغرب نفسه، إلى المعضلات التي طرحت عليه وما زالت، كنظام اقتصادي اجتماعي فلسفي (بين الإيمان والعقل ـ الاستهلاك والإنتاج ـــ النظام البطريركي الرأسمالي وحرية المرأة ومساواتها بالرجل ـ الآلة والإنسان ـ التلوث والبيئة إلخ.).

ولقد وصف Ramonet قلق الغرب حينما قال: إن هناك أربع ثقافات تتعايش في البلاد الأوروبية: الأنسية ـ العلمية ـ والجماهيرية والأنتروبولوجية[1]. ويعود في جزء آخر إلينا، إلى قلقنا الناتج عن الأوضاع غير المستقرة التي مررنا بها والتي ما زالت تلاحقنا إلى الآن. هذا عدا عن التداخل الحاصل تاريخياً بين الشرق والغرب بحيث تصعب عملية رسم هذه الصورة بمعزل عن هذا التفاعل بين الإثنين.

من هنا بدوت حائرة وأنا أرسم صورة لصورنا عن الغرب. فرغم بحثي هذا ما زلت أتساءل: هل هذه صورنا نحن عن الغرب؟ أم أنها بجزء كبير هي صور الغرب عن نفسه؟!

ألم تنتج هذه الصور عن إشكالية الحداثة والتقليد المطروحة على المجتمعات الغربية قبل أن تطرح علينا؟ بمعنى آخر هل صور الغرب هذه نابعة من تصوراتنا نحن عنهم أم هي بجزء منها تصورات لتصوراتهم؟ مثلاً ألم يع الغرب إشكالية العولمة والخصوصية ويطرحها على نفسه قبل أن تطرح علينا فنعيها بدورنا؟. إذن تشبه حيرتي حيرة من تتبعت صورهم عن الغرب... وما تمكنت من استنتاجه أن صورنا عن الغرب ربما تكون قد رسمت بجزء منها من الغرب نفسه. بمعنى أنه حدد لها أبعادها، عبر فيها عن إشكالياته، رسم إطارها رسم المطمئن. وتركنا نلج هذا

(١) Ramonet Ignocio, **Géopolitique du chaos,** éd. Galille, Paris 1997.

الإطار بعدما جذبنا إليه لنرسم داخله صوراً كما نريد، متأرجحة بين سلبية وإيجابية متنافرة ومتقاربة، نبحث فيها عما يشبهنا أو عما يخدمنا ويعزز مواقعنا ومواقفنا وآراءنا.

ومن لم يدخل إلى هذا الإطار بقي خارجاً يشكل صوراً للغرب على هواه ودون إطار، خارج اللعبة، كل شيء فيها قابل للخروج كلياً أو الدخول كلياً، صوراً مشرعة، منهم من يسقط عليها ادعاءاته بالطهرية، ومنهم من يذهب فيها إلى غرب الغرب لتصبح المبالغة في الغربنة مسألة عبثية لا معنى للوجود فيها.

باختصار هذا الغرب المتنوع، مقابل نحن المتنوعين أيضاً والذين قد يمكن تقسيمهم لأنواع عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: قسم أول كبير متنوع راح يرى نفسه في تنوعات الغرب. منهم من مال لتمثله في الغرب التقني وآخرون في الغرب الفكري، منهم من رأى نفسه في غرب الاستهلاك وآخر من رآها بالإنتاج والعمل... واحد في «الغرب العلم» وآخر في «الغرب الدين»[1].. إلخ. قسم ثان انطلق بالأصل من فكر شمولي فنظر إلى الغرب كلّه ورفضه بالمطلق، وثالث انطلق من لا فكر من لا موقف، فكانت عملية تمثله بالغرب كلية وسريعة فقبله بالكامل لدرجة الذوبان!

(١) Voir à ce propos: **Les Européens vus par les Libanais à l'époque ottomane** - Colloque Beyrouth - 17 - 18-Avril 1998. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ـ ص: ١٠.